آلِيَّاتُ الخِطَابِ الحِجَاجِيِّ
في حِوَارِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الْأَنْصَارِ
عَقِبَ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ

إعداد الدكتور

رمزي السيد سيد أحمد حجازي

أستاذ الأدب والنقد المساعد في كلية العلوم والآداب بطبرجل

جامعة الجوف بالمملكة العربية السعودية

أستاذ الأدب والنقد المساعد في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود

جامعة الأزهر

(العدد الخامس والثلاثون)

(الإصدار الأول)

(١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)

"آلِيَّاتُ الخِطَابِ الحِجَاجِيِّ في حِوَارِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الْأَنْصَار عَقِبَ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ"

رمزي السيد سيد أحمد حجازي

قسم الأدب والنقد، كلية اللغة العربية، إيتاي البارود، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الالكتروني: dr.ramzy_h Ramzyhegazy.2034@azhar.edu.eg

ملخص البحث: تهدف هذه الدراسة إلى مقاربة مباحث الحجاج وما تشتمل عليه من مقاييس نظرية، وما قدمه أصحابها من خلال النظرية التداولية من مبادئ وأفكار ورؤى حديثة للنص اللغوي، مؤسسة على النظر إلى الكلام من حيث هو نص له صفات تداولية حجاجية، غايته إقناع المخاطب، وحمله على الإذعان والتسليم بالتأثير على أفكاره وعواطفه، فقد قصدت هذه الدراسة إلى توضيح الخصائص الحجاجية في نص حوار النبي- ﷺ- مع الأنصار إثر غزوة حنين؛ وبيان مظاهر الخطاب الحجاجي ووسائله وآلياته التي عبّر فيها كلُّ طرف عن وجهة نظره، وكيفية معالجة الخطاب الحجاجي النبوي لقضية اعتراض الأنصار على النبي- ﷺ- في تقسيم غنائم حنين، حيث اكتملت أركان الحجاج في هذا الحوار الذي وقع عليه اختيار الباحث، وهي: المخاطِب، والمخاطَب، والقضية الخلافية، والحجة التي تعد أهم أركان الحجاج، وتحتاج إلى البرهنة والتدليل، وإلى استخدام الأدوات والوسائل والإستراتيجيات الفاعلة في الخطاب، وقد استعرضت هذه الدراسة مفاهيم الخطاب والحجاج والحوار، وتناولت وسائل الحجاج في خطاب النبي- ﷺ- وإستراتيجياته التي اعتمدها، وكذلك في خطاب الأنصار النثري والشعري باستعراض الخصائص الحجاجية في قصيدة "حسان بن ثابت"- رضي الله عنه- التي تضامن فيه مع قومه؛ الأنصار في قضيتهم.

الكلمات المفتاحية: آليات، إستراتيجيات، الخطاب، الحوار، الحجاج.

Mechanisms of pilgrim discourse in the dialogue of the Prophet ﷺ with the Ansar after the Battle of Hunayn.

Ramzy El Sayed Ahmed Hegazy
Department of Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language, Itai El-Baroud, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: Ramzyhegazy.2034@azhar.edu.eg

Abstract: This study aims to approach Al-Hajjaj's investigations and what they contain of theoretical standards, and the principles, ideas and modern visions presented by their owners through the deliberative theory of the linguistic text. Making him submit and accept by affecting his thoughts and emotions, this study aimed to clarify the argumentative characteristics in the text of the Prophet's dialogue - may God's prayers and peace be upon him - with the Ansar following the Battle of Hunayn. And an explanation of the manifestations of the argumentative discourse, its means and mechanisms in which each party expressed its point of view, and how the argumentative discourse of the Prophet addresses the issue of the objection of the Ansar to the Prophet - may God's prayers and peace be upon him — in dividing the spoils of Hunayn. The addressee, the addressee, the controversial issue, and the argument, which is the most important pillar of the pilgrims, and needs to be demonstrated and demonstrated, and the use of effective tools, means and strategies in the discourse. and his strategies that he adopted, as well as in the prose and poetic discourse of the Ansar, by reviewing the pilgrim characteristics in the poem "Hassan bin Thabit" - may God be pleased with him - in which he expressed solidarity with his people; The protagonists in their case.

Keywords: Mechanisms, Strategies, Discourse, Dialogue, Pilgrims.

مقدمة

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي مَنَّ عَلَى الإِنسَانِ بِالْبَيَانِ، وَفَضَّلَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلَا، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَدَّبَهُ رَبُّهُ تَأْدِيبَا، وَأَنَاخَ لَهُ مَطَايَا الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ تَكْرِيمَا، فَكَانَتْ عَلَى عُذُوْبَةِ لَفْظِهِ وَحَلَاوَةِ مَنطِقِهِ شَاهِداً وَدَلِيلَا.

وبعد..

فالحوار يُعدُّ أحدَ العناصرِ المكوِّنةِ للنص النبوي، تتعدد فيه الأصوات، وتتكشّف ملامحُ الشخصيات، وتُقاس به ثقافتُها وتحضُّرُها، ويُضفي على النص جوا قصصيا دراميا، وهو وسيلة تفاعلية تكفُل للشخصية حقَّ التعبير عن ذاتها ورؤاها، وقد نال النصُّ النبوي عامةً والحواريُّ خاصةً عنايةَ كثيرٍ من الباحثين المعنيّين بالدراسات اللغوية وغير اللغوية للوقوف على أسراره ودقائقه، والاستفادة من مضامينه في هداية البشرية واستخلاص الدروس والقيم؛ لأنه نص ثريٌّ حافل بكل جليل، يسترفد أفكارَه المضمونيةَ وخصائصَه البيانيةَ من القرآن الكريم، فيصدُرُ عن ألفاظٍ ومعانٍ لها قداستُها وشرفُها.

وتأتي النظرياتُ الحديثةُ لتفتحَ آفاقا جديدةً في دراسةِ النص النبويّ والحوار النبوي، وتعتلي التداوليةُ صهوةَ هذه النظرياتِ التي تهدِفُ إلى مقاربة الخطاب وتحليله والكشف عن مقاماته الحجاجية أثناء عملية التواصل، ولذلك كانت دراسةُ الحجاجِ والبحثُ عن آليَّاته وإستراتيجياته من أهم مباحث التداولية، حيث يُعنى بمقاربة الخطاب كشكل من أشكال التواصل والنقاش والحوار والإقناع، التي هي الهدفُ الرئيسُ من استخدام اللغة بين الأفراد والجماعات، ويعد الضابطَ لكل معرفة عقلية أو الطريقَ الذي يذلل الوصولَ إلى هذه المعرفة ويساعد على تلقّيها والتفاعلِ معها؛ فكل قول يتغيَّا التأثيرَ في نفوس المخاطَبين وسلوكِهم يحتوي على طاقات حجاجية كامنة، ومن ثم تتضح أهميةُ هذه الدراسةِ التي تَنشُدُ إلقاءَ الضوءِ على أدب الخطاب الحجاجي وآلياته في النص الحواري بين النبي ﷺ وصحابته من خلال هذا الموضوع: "**آلِيَّاتُ الخِطَابِ الحِجَاجِيِّ فِي حِوَارِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الْأَنْصَارِ عَقِبَ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ**" باعتبار

هذا النصّ الحواريّ تشكيلا لغويا أو نظاما من العلامات يتحقق بها التواصل والتفاهم، وتحملُ كثيرا من القوانين التداولية التي تخدُم المعنى؛ فقد استعرضتِ الدراسةُ هذه القوانينَ من خلال التطرُّقِ إلى الوسائل اللغوية، والوسائل البلاغية، وإستراتيجيات الخطاب كالإستراتيجية التضامنية والإستراتيجية التوجيهية والإستراتيجية الإقناعية، في إطار القناعة النقدية بقبول النص العربي لكثير من هذه الوجوه الجديدة من النظريات التي تتعانق مع النقد القديم والبلاغة القديمة في إبراز الطاقات القارّة في النص العربي على وجه العموم، وفي القلب منه القرآنُ الكريمُ والحديثُ النبويُّ الشريفُ والحواراتُ النبويةُ مع الصحابة الكرام.

وقد دفعتني عدة أسباب إلى اختيار هذا الموضوع أهمها:

- قلة الدراسات التطبيقية التي تتناول الظاهرة الحجاجية في النص الأدبي عامة، والنصوص النبوية والتراثية خاصة؛ حيث يعد هذا الدرس الحجاجي من الدراسات اللغوية الحديثة.
- الوقوف على آليات الخطاب الحجاجي في نص حواري من نصوص السيرة النبوية، وإبرازها من خلال السياق اللغوي والمقام وظروف التخاطب.
- ما يزخر به حوار النبي ﷺ مع الأنصار من خصائص وآليات حجاجية تنم عن حكمة النبي ﷺ وقدرته على احتواء الأزمات والتأثير في نفوس المخاطبين.

أما الدراسات السابقة في هذا الموضوع فهي نوعان: دراسات تنظيرية، ودراسات تطبيقية؛ **وأهم الدراسات التي تندرج تحت النوع الأول:**

– إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

– الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

– اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

وأهم الدراسات التطبيقية ما يأتي:

- أسلوبية الخطاب التداولي والحجاجي: تنظير وتطبيق على السور المكية، د. مثنى كاظم صادق، منشورات ضفاف– بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ– ٢٠١٥م.
- تداولية أدب الخطاب وإستراتيجياته في سورة غافر، هاجر أحمد المومني، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك ٢٠١٤– ٢٠١٥م.
- التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر– دمشق، الإصدار الأول ٢٠٠٨م.
- الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي– بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٧م.
- النص الحجاجي العربي: دراسة في وسائل الإقناع، محمد العبد، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٠، صيف– خريف ٢٠٠٢م.

وقد اعتمدتُ في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي في الكشف عن آليات الخطاب وإستراتيجياته، واستعنت بمعطياته في تجلية بنية الحِجاج، وتحليل الخطاب الحجاجي وكيفية استعمال إستراتيجياته وفهمها.

وأما خطة هذه الدراسة فإنها تقوم بعد المقدمة على تمهيد وأربعة مباحث:

التمهيد بعنوان: "الحادثة الحوارية عقب غزوة حنين"، وأوردت تحته المادة أو النص الذي تقوم عليه الدراسة من مصادره الصحيحة من كتب السنة والتاريخ.

المبحث الأول: "مصطلحات ومفاهيم"، وتحدثت فيه عن ثلاثة مصطلحات كانت الدراسة في حاجة ماسة إلى بيانها وهي: الخطاب، والحجاج، والحوار.

المبحث الثاني: "وسائل الحجاج فِيْ حِوَارِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الْأَنْصَارِ عَقِبَ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ"، وخصصته للحديث عن الوسائل اللغوية في حوار النبي ﷺ مع

الأنصار عقب غزوة حنين، ممثلة في المفردات اللغوية والأساليب الإنجازية الإنشائية، والوسائل البلاغية من تشبيه واستعارة وكناية ودورها الحجاجي في الخطاب.

المبحث الثالث: "إستراتيجيات الخطاب في حوار النبي مع الأنصار"، وضمنته الحديث عما تجلَّى من إستراتيجيات الخطاب في حوار النبي والأنصار؛ فكانت ثلاث إستراتيجيات: الإستراتيجية التضامنية والإستراتيجية التوجيهية والإستراتيجية الإقناعية.

المبحث الرابع: "وسائل الإقناع في شعر "حسان بن ثابت الأنصاري"- ﷺ- في عتاب النبي ﷺ"، وجعلته خاصا بتحليل الخطاب الشعري في قصيدة "حسان" التي وردت في هذا السياق احتجاجا لقومه كونها تعد خطابا شعريا داخلا في النص الحواري المعني بالدراسة، فحاولت تتبع وسائل الإقناع في هذا الخطاب الشعري الحجاجي، وأوضحت كيف زاوج الشاعر في هذا الخطاب بين هذه الوسائل والتزام الأدب من خلال تطبيق مبدأ التأدب وإيثار طُرُقه وأدواته الخِطابية.

وألحقت ذلك بفهرس للمصادر والمراجع، وآخرَ للموضوعات.

هذا، وإذا كنت قد وُفِّقت فيما حاولتُ وقصدتُ فالحمد الله رب العالمين، وإن كانت الأخرى فحسبي أني قد بذلت الجهد، والحمد لله أولا وآخرا.

تمهيد: الحادثة الحوارية عقب غزوة حنين

من المعلوم أن النبي كان دائم الحوار مع أصحابه، يرغبهم تارة، ويرهبهم تارة، ويزهدهم في الدنيا تارة، ويبين لهم مسائل دينهم ويعلمهم مكارم الأخلاق تارة أخرى، ولا يؤخر بيانا عن وقت الحاجة وخاصة في مواطن الغضب التي قد تكون بداية لشقاق محتمل، أو فتنة متوقعة، بناء على ظن سيء أو عدم إدراك للواقع أو غير ذلك، فكان ﷺ يسارع في جلاء الحق، وبيان الصواب، وإطفاء ما يعتلج في النفوس من شرر الغضب، وهو أقدر الناس على ذلك بما أوتي من قوة بيان، وحلاوة لسان، وعذوبة منطق، وبما رزق من هيبة وجلال بين الناس أجمعين.

وتعد غزوة حنين[1] من الغزوات المشهودة في تاريخ الإسلام والمسلمين، جاءت بعد فتح مكة في العام نفسه، وهو العام الثامن من الهجرة، وقد غنم فيها المسلمون غنائم كثيرة، رأى رسول الله ﷺ أن يعطي المؤلفة قلوبهم من حديثي العهد بالإسلام، وأن يمنع منها السابقين الأولين الذين رسخت أقدامهم فيه، فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية من الفضة، ومائة من الإبل، وأعطى ابنيه يزيد ومعاوية، فقال أبو سفيان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد حاربتك فنعم المحارب كنت، وسالمتك فنعم المسالم أنت، هذا غاية الكرم جزاك الله خيرًا، وأعطى حكيم بن حزام مائة، وأعطى رسول الله – ﷺ – الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة بن حصن بن بدر مثله، وأعطى العباس بن مرداس السلمي أربعين، وكان صفوان بن أمية ينظر إلى شعب مملوء فيه غنم وإبل ورعاؤها، فأعجب صفوان وجعل ينظر إليه، فقال رسول

---

(١) وادٍ قبل الطائف بينه وبين مكة ثلاث ليال، وقيل بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا، وهو يذكر ويؤنث فإن قصدت به البلد ذكرته وصرفته. معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٣١٣/٢، دار الفكر– بيروت (د. ت)، وتسمى غزوة حنين أيضا غزوة هوازن، لأنهم الّذين أتَوْا لقتال رسول الله– ﷺ.

الله – ﷺ–: أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب؟ قال: نعم. قال: هو لك بما فيه. فقال صفوان: أشهد أنك رسول الله ما طابت بهذا نفس أحد قط إلا نبي، فوقع في نفوس الأنصار أن رسول الله – ﷺ– يعطي الناس ويوزع الغنائم ويدعهم، خاصة أنه يعطي من أسلم حديثا، أو من لم يسلم بعد، أما هم فلم يُعط أحدٌ منهم عيرًا ولا شاة، حتى كثر فيهم الحديث، وقال بعضهم: "يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشا ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم"(١).

وفي صحيح البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ: لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين، قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئا، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال:

"**يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي**" كلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أمنُّ.

قال: "**ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله** ﷺ". قال: كلما قال شيئا، قالوا: الله ورسوله أمنُّ.

قال: "**لو شئتم قلتم: جئتنا كذا وكذا، أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي** ﷺ **إلى رحالكم، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار، إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**"(٢)

وفي "البداية والنهاية" لابن كثير أنه لما أصاب رسول الله ﷺ الغنائم يوم حنين وقسم للمتألفين من قريش، وسائر العرب ما قسم ولم يكن في الأنصار منها شيء قليل ولا كثير، وجد هذا الحيُّ من الأنصار في أنفسهم، حتى قال

---

(١) صحيح البخاري: ١٥٧/٥، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

(٢) صحيح البخاري: ١٥٧/٥.

قائلُهم: لقِيَ والله رسولُ الله قومَه، فمشى سعد بن عبادة إلى رسول الله ﷺ فقال:

يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم؟

فقال "**فيم؟**"

قال: فيما كان من قَسْمك هذه الغنائمَ في قومك وفي سائر العرب، ولم يكن فيهم من ذلك شيء، فقال رسول الله ﷺ:

"**فأين أنت من ذلك يا سعد؟**"

قال: ما أنا إلا امرؤ من قومي.

قال: فقال رسول الله ﷺ: "**فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، فإذا اجتمعوا فأعلمني**"، فخرج سعد فصرخ فيهم فجمعهم في تلك الحظيرة فجاء رجل من المهاجرين فأذن له فدخلوا وجاء آخرون فردهم، حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له أتاه فقال: يا رسول الله قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار حيث أمرتني أن أجمعهم، فخرج رسول الله ﷺ فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

"**يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟**"

قالوا: بلى ثم قال رسول الله ﷺ:

"**ألا تجيبون يا معشر الأنصار؟**"

قالوا: وما نقول يا رسول الله؟ وبماذا نجيبك؟ المن لله ولرسوله.

قال: "**والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم جئتنا طريدا فآويناك، وعائلا فآسيناك، وخائفا فأمناك، ومخذولا فنصرناك**"

فقالوا: المن لله ولرسوله.

فقال رسول الله ﷺ: "**أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما أسلموا، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الاسلام، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير**

وتذهبون برسول الله إلى رحالكم فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شِعبا وسلكت الأنصار شِعبا لسلكت شعب[1] **الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار**"، قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا بالله ربا ورسوله قسما ثم انصرف وتفرقوا[2].

وقد جاءت روايات مختلفة لهذه الحادثة بزيادات كثيرة في كتب السنن والأسانيد والتاريخ، وكلها محل دراسة، تخضع لمظاهر الخطاب الحجاجي من الطرفين، وتتجلى فيها أهم وظائف الخطاب التواصلي وهو الحجاج والإقناع والتأثير في المتلقي.

وفي هذه الحادثة أنشد حسان بن ثابت (ﷺ) قصيدة يعاتب فيها النبي ﷺ لحرمان الأنصار من الغنيمة، وعدد أبياتها اثنا عشر بيتا، يقول في مطلعها:[3] (البسيط)

زَادَتْ هُمُومٌ فَمَاءُ الْعَيْنِ سَحَّا إِذَا حَفَّلَتْهُ عَبْرَةٌ دِرَرُ

وليس يخفى فضل الأنصار في الإسلام، ولا تجهل بطولتهم ودفاعهم عن النبي ﷺ، فهم الذين قامت على أكتافهم الدولة الإسلامية، وهم الذين آووا رسول الله ﷺ ونصروه بقتالهم وجهادهم في سبيل الله، كما أنهم كانوا السبب الرئيس في انتصار المسلمين في غزوة حنين وفي هذه الغنائم الكثيرة التي قسمها النبي ﷺ في غيرهم، ولذلك قال بعضهم: "إذا كانت الشدةُ فنحن نُدْعى،

---

(١) الشِّعب هو ما انفرج بين جبلين، وقيل هو الطريق في الجبل. لسان العرب لابن منظور: (شعب) دار صادر– بيروت الطبعة الثالثة – ١٤١٤هـ.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ٤/٤١١، تحقيق/ علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ–١٩٨٨م.

(٣) ديوان حسان بن ثابت: ١٢٠، تحقيق/ عبدأ علي مهنا، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م.

وتُعطى الغنيمةُ غيرَنا"[1]، ولذلك فإن موقفهم هذا كان محل تقدير النبي ﷺ واهتمامه، وله مبرراته وأسبابه المنطقية.

ولأهمية هذه الحادثة فقد استنبط الإمام ابن حجر العسقلاني منها كثيرا من الفوائد والأحكام أرى أن ذكرها هنا يضيء جوانب النص، ويظهر كثيرا من ملامحه، يقول- رحمه الله تعالى:

"وَفِيهِ أَنَّ لِلْإِمَامِ تَفْضِيلَ بَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ فِي مَصَارِفِ الْفَيْءِ، وَأَنَّ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ الْغَنِيَّ مِنْهُ لِلْمَصْلَحَةِ، وَأَنَّ مَنْ طَلَبَ حَقَّهُ مِنَ الدُّنْيَا لَا عَتْبَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، وَمَشْرُوعِيَّةُ الْخُطْبَةِ عِنْدَ الْأَمْرِ الَّذِي يَحْدُثُ سَوَاءً كَانَ خَاصًّا أَمْ عَامًّا، وَفِيهِ جَوَازُ تَخْصِيصِ بَعْضِ الْمُخَاطَبِينَ فِي الْخُطْبَةِ، وَفِيهِ تَسْلِيَةُ مَنْ فَاتَهُ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا مِمَّا حَصَلَ لَهُ مِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ، وَالْحَضُّ عَلَى طَلَبِ الْهِدَايَةِ والألفة والغنى، وَأَن الْمِنَّة لله وَرَسُوله على الاطلاق، وَتَقْدِيم جَانب الْآخِرَة على الدنيا، وَالصَّبْرُ عَمَّا فَاتَ مِنْهَا لِيَدَّخِرَ ذَلِكَ لِصَاحِبِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى"[2]

(١) دلائل النبوة للبيهقي: ١٧٣/٥، تحقيق د/ عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث- الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني: ٥٢/٨، دار المعرفة- بيروت ١٣٧٩هـ.

المبحث الأول: مصطلحات ومفاهيم

- **مفهوم الخطاب:**

راجت في الفترة الأخيرة الدراسات التي تُعنى بالبحث في الخطاب الحِجاجي باعتباره أكثرَ فنون القول رواجا في مسيرة التاريخ الإنساني، حيث إنه ما من خطاب إلا وفيه درجة من الحِجاج، تقل أو تكثر حسب معطيات ومنطلقات فكرية، وآليات تتأسس على قصدية المتكلم من خطابه، وغاياته التي يريد أن تصل إلى المتلقي بتأثيرها فيه بأي وجه من وجوه التأثير والإقناع.

وقد شاعت كلمة "الخطاب" على جهة الخصوص في الآونة الأخيرة، متنازعة بين الدين والسياسة والثقافة والاجتماع والأدب والفلسفة؛ فتشكلت مصطلحات خطابية كثيرة تبعا لذلك: الخطاب الديني، والخطاب العلمي، والخطاب السياسي، والخطاب الاجتماعي، والخطاب الثقافي، والخطاب الفلسفي، وأصبح النقد بأنواعه المختلفة منصبا على الخطاب بتوجُّهاته الكثيرة وميادينه المتعددة؛ بحثا عن نموذج خِطابي يحقق أهداف المتكلم من أقصر الطرق وأيسرها، وتقييما للمخاطِبين وبيان تفاوت مستويات الخطاب بينهم بِناء على قدراتهم البيانية والفكرية والثقافية وتبصرهم بالواقع وقربهم من المتلقي، ولذا كان لا بد من تبيين معنى الخطاب في الثقافة العربية، وما آل إليه المصطلح في العصر الحديث.

يقول ابن منظور في "لسان العرب": والخِطابُ والمُخاطَبَة: مُراجَعَة الكَلامِ، وَقَدْ خاطَبَه بالكَلامِ مُخاطَبَةً وخِطاباً، وهُما يَتخاطَبانِ[1]، وفي المعجم الوسيط: (الْخطاب) الْكَلَام والرسالة[2]، وفي معجم الكليات للكفوي: "الخطاب:

---

(١) لسان العرب لابن منظور (خطب).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (خطب)، أخرجه إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة.

اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام مَن هو متهيء لفهمه(١).

والعرب تقول للكلام الذي ليس بعده كلام، أي الذي بلغ في حجيته وبلاغته وفصاحته مبلغا لا يدرك: فصل الخطاب، يقول القلقشندي في الثناء على النبي ﷺ: " وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله الذي أظهر من واضح الحجج الجليّة ما سقط بحجّيّته دعوى المعارض، وأَتَى من فصل الخطاب بما أفحم به الخصوم فلم يستطع أشدُّهم في البلاغة شكيمة أن يأتي له بمناقض"(٢)، وقيل: "معنى فصل الخطاب: قطع الجدال والخصام بإصابة الحجة"(٣).

وفيما سبق دلالة على أن الخطاب عمل لساني تداولي يتم بين طرفين مخاطِب ومخاطَب، حيث إنه مفاعلة بينهما، فيتكون من ثلاثة أركان:

- المخاطِب أو المبدع.
- المخاطَب أو المتلقي.
- الخِطاب أو الرسالة.

كما أن فيه دلالة على أن الخطاب عملية تبادلية كذلك تقوم على الحوار الذي تتبدل فيه الأدوار فيصبح المخاطِب مخاطَبا والمخاطَب مخاطِبا.

وقد وردت كلمة الخطاب في القرآن الكريم عدة مرات؛ في قول الله تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ (٤)وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾ (٥)، وفي قوله

(١) الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي: ٤١٩، تحقيق د/ عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة– بيروت ١٩٩٢م.

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، للقلقشندي: ٢٣٨/١٤، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٤٠هـ– ١٩٢٢م.

(٣) شرح أدب الكاتب لابن قتيبة، أبو منصور الجواليقي: ٣٨، تقديم/ مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت).

(٤) ص: ٢٠.

(٥) سورة ص: ٢٣.

تعـــــالى: ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ﴾ (١)، ووردت مشتقاتها كذلك كما في قوله تعالى: "وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ"(٢)، وكلها تدل على أن الخطاب فيه تناظر وتداول لفعل كلامي يحمل حجة بقصد الوصول إلى التأثير في المتلقي، وإخضاعه للتسليم والإذعان برسالة الخطاب، ومضمون الكلام.

فالخطاب كلمة تستخدم للدلالة على كل كلام متصل اتصالا يمكنه من أن ينقل رسالة كلامية من المتكلم أو الكاتب، وليس بالضرورة كل خطاب نصا، وإن كان كل نص بالضرورة خطابا، فالكلام المتصل خطاب، ولكنه لا يكون نصا إلا إذا اكتمل ببداية ونهاية، وعبر عن موضوعه ببناء متماسك منسجم(٣).

ويمكن التمييز بين النص والخطاب في عدة نقاط أساسية، تتلخص في:

– أن الخطاب مرتبط باللغة المنطوقة، أما النص فهو نتاج اللغة المكتوبة.

– أن الخطاب يتطلب متكلما ومستمعا أثناء التواصل، أما النص فيتطلب منتجا (ناصّا) ومتلقيا قد يؤجل إلى حين القراءة.

– أن الخطاب ينقطع بزوال لحظة التواصل، أما النص فمستمر حتى ولو غاب متلقيه.

– أن الخطاب مقترن بالتلفظ الآني الذي يحمل دلالة معينة، تتفاعل معها الأطراف المجسِّدة له أثناء التواصل في سياق محدد، يبرز نفسية هذه الأطراف وثقافتهم، أما النص فمتعلق بالملفوظ والكتابة، وهو يحتوي تلك

---

(١) سورة النبأ: ٣٧.

(٢) المؤمنون: ٢٧.

(٣) ينظر: الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، د/ خلود العُموش: ٢٤، عالم الكتب الحديث– إربد– الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م.

الدلالـة المعينـة للخطـاب، ولهـذا رأى فـان ديـك **(Van Dyke)** أن الـنص يتضـمن الخطـاب، وإذا تـم تجسيد هذا النص فـي موقف وسياق تواصـلي يعد خطابا(١).

وعلى ذلك فإن النص متضمَّن في الخطاب أو محتوى فيه، يتمظهر من خلاله في شكل شفوي خِطابي، والخطاب نص أو رسالة من متكلم أو كاتب؛ فبينهمـا احتواء وتعـالق، وغايـة كـل منهمـا مـن الناحيـة التواصـلية التـأثير فـي المتلقي.

- مفهوم الحجاج:

الحِجاج جمع الحُجَّة، وأصلها مادة (حجج)، يقول ابن منظور: "والحُجَّة: البُرْهان؛ وَقِيلَ: الحُجَّة مَا دُوفِعَ بِهِ الْخَصْمُ؛ وَقَالَ الأَزهري: الحُجَّة الْوَجْهُ الَّذِي يَكُونُ بِـهِ الظَّفَـرُ عِنْـدَ الْخُصُـومَةِ، وَهُـوَ رَجُـلٌ مِحْجـاجٌ أَي جَـدِلٌ، والتَّحـاجُّ: التَّخاصُـم؛ وَجَمْـعُ الحُجَّـةِ: حُجَـجٌ وحِجـاجٌ، وحاجَّـه مُحاجَّـةً وحِجاجـاً: نَازَعَـهُ الحُجَّةَ. وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِه. وَفِي الْحَدِيثِ: فَحَجَّ آدمُ مُوسَى أَي غَلَبَه بالحُجَّة، واحْتَجَّ بالشيءِ: اتَّخَذَهُ حُجَّة، وَفِي حَدِيثِ الدَّجَّالِ: "إِن يَخْرُجْ وأَنـا فِيكُمْ فأَنـا حَجِيجُـه"، أَي مُحاجُّـهُ ومُغالِبُـه بإِظهـار الحُجَّـة عَلَيْـهِ، والحُجَّـةُ: الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ. يُقَالُ: حاجَجْتُه فأَنا مُحاجٌّ وحَجِيجٌ، فَعِيل بِمَعْنَى فَاعِلٍ، وَمِنْهُ حَدِيثُ مُعَاوِيَةَ: فَجَعَلْتُ أَحُجُّ خَصْمِي، أَي أَغْلِبُه بالحُجَّة(٢).

فالحِجاج كما يفهم من معناه اللغوي المجادلة والمغالبة بالحجة والبرهان، ومحاولـة إقنـاع المتلقي واستمالته بفكر أو مسألة أو قضية بالأدلـة والبراهين، وهو ما لا يبعد عن التعريفات المختلفة للحجاج في علم اللغة النصي والنظرية

---

(١) ينظر: بنية الخطاب الحجاجي في كليلة ودمنة، حمدي منصور جودي: ٢٥، ٢٦، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات- جامعة محمد خيضر- الجزائر ١٤٣٧هـ- ٢٠١٧م.

(٢) لسان العرب: (حجج).

الحجاجية المعاصرة، وإن اختلفت الزوايا التي نشأ منها تعريف الحجاج، كالسمات الموضوعية العامة، أو البنى اللغوية المميزة، أو الغرض البلاغي والوظيفة الاتصالية .. إلخ.

فالحجاج عند أنديرسين Andersen ودوفر Dover هو طريقة لاستخدام التحليل العقلي، والدعاوى المنطقية، وغرضها حل المنازعات والصراعات واتخاذ قرارات محكمة، والتأثير في وجهات النظر والسلوك(١).

والحِجاج عند بيريلمان Perelman وتيتيكا Tyteka طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرض عليهم أو إلى زيادة درجة تلك الاستمالة(٢).

وهناك تعريفات أخرى ترى أن الحجاج سياق من الفعل اللغوي وجنس من الخطاب وعملية اتصالية كما عند ماس وشيفرين وهاينمان، وخلاصة تلك التعريفات أن الحِجاج جنس خاص من الخطاب يُبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا، قاصدا إلى إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية(٣).

والحِجاج يعد أحد مرتكزات البلاغة الجديدة التي تُعرَّف على أنها نظرية الحجاج التي تهدف إلى دراسة تقنيات الخطابة، وتسعى إلى إثارة النفوس، وكسب العقول عبر عرض الحجج، وبذلك يتبين إلى أي مدى تمثل البلاغة الجديدة استمرارا للبلاغة الكلاسيكية أو تختلف عنها، حيث إن البلاغة الجديدة تواصل بلاغة أرسطو من حيث توجهها إلى جميع أنواع السامعين، واحتضان

---

(١) النص الحِجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، د. محمد العبد، مجلة فصول: ٤٣، العدد ٦٠ سنة ٢٠٠٢م.

(٢) السابق والصفحة.

(٣) ينظر: السابق: ٤٤.

ما يسميه القدامى فن الجدل، بيد أن البلاغة الجديدة تتعارض مع تقاليد البلاغة الحديثة التي هي بلاغة أدبية صرف من الأفضل أن تُدعى أسلوبية، فالبلاغة الجديدة عكس البلاغة الحديثة غير معنية بشكل الخطاب من أجل الزخرف أو القيمة الجمالية، بل من جهة كون ذلك وسيلة للإقناع وليس وسيلة للإبداع(١).

وقد استعمل القرآنُ الكريم لفظَ الحجاج بمعناه الفني في أكثر من سياق كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾(٥).

ومن خلال هذه الآيات الكريمات تتكشف ملامح الخطاب الحجاجي

---

(١) ينظر: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صابر الحباشة: ١٥، ١٦ صفحات للدراسات والنشر – دمشق، الإصدار الأول ٢٠٠٨م.

(٢) البقرة: ٢٥٨.

(٣) آل عمران: ٦١.

(٤) آل عمران: ٦٦.

(٥) الأنعام: ٨٠.

وتتبين معالمه ليكون فنا قوليا قائما على عرض الحجج بصورة منطقية متسلسلة قصدا إلى الإقناع أو زحزحة عقيدة المخاطب وتغيير قناعاته باستخدام إستراتيجيات[1] الخِطاب وفنون القول، وآليات المنطق التي تتخذ اللغة وسيلة لها في كشف زيف حجية الخصوم، والتسفيه من آرائهم أو توجيههم وإرشادهم إلى الصواب.

والنص القائم على الحوار وتعدد الأصوات هو نص حجاجي، وليس بالضرورة أن يكون كذلك، فالخطبة نص حجاجي، وكل نص أدبي قصد به التأثير على المتلقي هو نص حجاجي أو نص يحمل مضمونا حجاجيا، والعلاقة بين أجزاء النص في الخطاب الحجاجي علاقة منطقية، وليست علاقة تصويرية كما في غيره من النصوص، ويختلف عن المناظرة والجدل في أن الأخيرين يقومان على فكرة المغالبة والانتصار على الخصوم بالحجج والبراهين، وكل من الطرفين المتجادلين حريص على ذلك، يشحذ له كل طاقته، يعرض أحدهما قضية من القضايا فيدافع عنها، ويحاول الآخر أن ينفيها بالأدلة والبراهين، بينما القصد في الحجاج هو ظهور الحجة ووضوح الفكرة وليس الرجوع عن المذهب.

والحجاج من أهم وسائل الاتصال التي توصل إلى الحقيقة وترسخ الأمن الفكري كما يقول "الباجي" في مؤلفه "كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج": "وهذا العلم من أرفع العلوم قدرا، وأعظمها شأنا؛ لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال، وتمييز الحق من المِحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة، ولا اتضحت محجة، ولا علم الصحيح من السقيم، ولا المُعوج من المستقيم"[2].

---

(١) الإستراتيجية هي الطريقة التخاطبية التي تستخدم عن عمد في الخطاب للوصول إلى هدف ما، وكتبتها بهمزة القطع لأنها كلمة غير عربية.

(٢) المنهاج في ترتيب الحجاج، أبو الوليد الباجي: ٨، تحقيق/ عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

والحجاج في الدراسات الحجاجية- كما يقول "عبد الله صولة" في كتابه: "الحجاج في القرآن الكريم"- على ضربين: ضرب أنت فيه لا تبرح حدود المنطق، فهو ضيق المجال ومرادف للبرهنة والاستدلال إذ هو يُعنى بتتبع الجانب الاستدلالي في المحاجة، وضرب هو واسع المجال لانعقاد الأمر فيه على دراسة مجمل التقنيات البيانية الباعثة على إذعان السامع أو القارئ(١).

ويرى "صولة" أن الحجاج أوسع من الجدل، فكل جدل حجاج، وليس كل حجاج جدلا، فهو القاسم المشترك بين الجدل والخطابة، من حيث إن الجدل والخطابة قوتان لإنتاج الحجج كما يقول أرسطو، ومعنى هذا أنه يوجد على الأقل حجاجان: جدلي وخَطابي؛ أما الجدلي فمعناه عند أرسطو مناقشة الآراء مناقشة نظرية محضة لغاية التأثير العقلي المجرد، وأما الحجاج الخطابي فهو حجاج موجه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة، في مقامات خاصة، وهو هنا ليس لغاية التأثير النقلي العقلي فقط، وإنما يتعداه إلى التأثير العاطفي وإلى إثارة المشاعر والانفعالات، وإلى إرضاء الجمهور واستمالته ولو كان ذلك بمغالطته وخداعه وإيهامه بصحة الواقع، ولذلك فإن الخطابة عند أرسطو تشبه الجدل من ناحية، وتشبه التفكير السوفسطائي من ناحية أخرى، وذلك لارتباط الحِجاج فيها بالمغالطة والإيهام والخداع(٢).

ولكن الخطاب الحجاجي بما يتضمن من حجج عقلية يخرج عن دائرة التلاعب بالجمهور وخداعه، فهذه الحجج تمثل بعدا عقليا مهما في النص الحجاجي بنوعيه السابقين: الجدلي والخطابي، وتنأى بالخطابة بصفة خاصة عن هذه الشبهة العاطفية المحضة التي كانت سببا في إحجام القدماء عن النظر إلى القرآن الكريم من منظور البلاغة التي كانوا يعتمدون في تعريفها

(١) ينظر: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة: ٨، دار الفارابي- بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٧م.

(٢) ينظر: الحجاج في القرآن الكريم، عبد الله صولة: ١٨، ١٩.

بعض ما نجده في تعريف الخطابة[١].

مفهوم الحوار وعلاقته بالحجاج:

الحوار: مشتق من الحَوْر وهو الرجوع عن الشيء وإليه، وهم يتحاورون: أي يتراجعون الكلام، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، وأحار عليه جوابه: أي رَدَّه، والتحاور: التجاوب[٢].

وقد وردت كلمة الحوار أو المحاورة بهذا المعنى في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [٣]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ [٤]، ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [٥]

وفي الشعر قول عنترة:[٦] (الكامل)

لَـو كـانَ يَـدري مـا المُحـاوَرَةُ وَلَكانَ لَو عَلِمَ الكَلامَ مُكَلِّمي

والحوار ضرورة من ضرورات الحياة ولازم من لوازمها؛ فبه يتواصل الناس ويتفاهمون فيما بينهم، ويتم الإفصاح عن وجهات النظر المختلفة، حتى إنه ليشكل في الحياة اليومية كمًّا هائلاً من القصص الذي لا غناء عنه في ممارسة الحياة ومزاولة مهامها.

"وقد نستطيع تقدير عملية القص – بشكل أدق – إذا ما لاحظنا أنفسنا خلال حياتنا اليومية العادية، حيث نجد أن عملية القص تدخل في أكثر من

---

(١) ينظر: السابق: ١٩.

(٢) ينظر: لسان العرب: مادة (حور).

(٣) سورة الكهف: ٣٤.

(٤) سورة الكهف: ٣٧.

(٥) سورة المجادلة: ١.

(٦) ديوان عنترة: ٣٠، تحقيق/ كرم البستاني، دار صادر – بيروت (د. ت).

تسعين في المائة من معاملاتنا وأحاديثنا، فالرجل حين يعود إلى منزله يقص على زوجته ما حدث له في عمله والتلميذ لا تخرج دراسته في المدرسة عن قص أخبار السابقين وما توصلوا إليه من نتائج ونظريات، ومجموعة النساء إذا ما جلسن معاً أخذت كل واحدة منهن تقص حكايات عن جاراتها وصديقاتها الغائبات، ومنادمة الرجال إن هي إلا صراع بينهم يحاول كل منهم فيه أن يحكي أمجاد ماضيه وأحلام مستقبله "[١].

ولا شك في أن كثيراً من هذه القصص تعتمد على الحوار بصورة كلية أو جزئية ومفهوم الحوار بالطبع أن يشترك فيه طرفان أو أكثر، فيقوم أحد الأطراف بالسؤال، وتتولى بقية الأطراف الجواب[٢].

أو هو الحديث الذي يجري بين شخصين أو أكثر في العمل القصصي، أو بين ممثلين أو أكثر في العمل المسرحي[٣].

والحوار بمفهوم فني حديث يقصد به: الحديث المتبادل بين الشخصيات، والذي يشترك مع التعبير الجماعي في تكوين الأداء التمثيلي المولد للصراع، والمطور للحدث، وهو المحرك الدافع له حتى النهاية[٤].

والحوار يعد أداة مهمة من أدوات الخطاب الحجاجي؛ لأنه وسيلة الإفهام والإقناع، فالعلاقة بين الحجاج والحوار علاقة وثيقة، فحيثما وجد أحدهما وجد الآخر غالبا، فإذا كان الحجاج في بعض مفاهيمه فعلا تداوليا جدليا، حيث إن المجادلة هي المحاجّة فيما فيه خلاف، مأخوذة من الجدل وهو الفتل، يقال: جَدَلْتُ الحبلَ أَجْدُلُهُ جَدْلًا، إذا فَتَلْتُهُ فتلًا محكمًا، لأن فيه فتلَ الخصم عن

---

(١) تذوق الأدب: طرقه ووسائله، د/ محمود ذهني: ١٢٩، مكتبة الأنجلو المصرية (د. ت).

(٢) ينظر: دراسات في الأدب العربي والتاريخ، د. محمد عبد الغني حسن: ١٨٣.

(٣) المعجم الوسيط: مادة (حور)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة – الطبعة الثالثة.

(٤) ينظر: فن الإلقاء العربي الخطابي والتمثيلي، د / فاروق سعد: ٦١، دار الكتاب، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

مذهبه، فثمة حضور واضح للحوار في الخطاب الحجاجي الذي هو فعل جدلي، وقد صرحت آية المجادلة بالعلاقة القائمة بينهما في قول الله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾[1]، فالمرأة التي جاءت للنبي- صلى الله عليه وسلم- تجادله في ظهار زوجها كانت تراجعه المنطق والكلام في مخاطبته، أي تحاوره، وهو ما يؤكد الطبيعة الحوارية للحجاج؛ فكل حجاج موجه من مخاطِب/ محاوِر إلى مخاطَب/ محاوَر، .. إن الحوار هو الحجاج من أحد وجوهه، من خلال ما يحدث في العملية الحوارية، إذ إن كل طرف يحاول إقناع الآخر بوجهة نظره من أجل كسب الإذعان منه، موظفا في سبيل ذلك كل الآليات الحجاجية المتاحة، ويقترب الحجاج من الحوار حين يستغله كإحدى الوسائل لإقناع المتلقي، وبذلك يظهر أن الحوار يدخل في صميم الحجاج[2].

(١) سورة المجادلة: ١.

(٢) تجليات الحجاج في القرآن الكريم (سورة يوسف أنموذجا)، حياة دحمان: ٢٧، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر- الجزائر ١٤٣٤- ٢٠١٣م.

المبحث الثاني: وسائل الحجاج في حِوَارِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الْأَنْصَارِ عَقِبَ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ

إذا كان الإقناع واستمالة المتلقي هدفا أساسيا للحجاج، فإن المحاجج لابد أن يستخدم وسائل متعددة من أجل التأثير في المتلقي وإكسابه طاقة إقناعية يصل من خلالها إلى التسليم بالحجة وقبول الرأي المخالف والتأثير في سلوكه ومعتقداته، أو الاقتناع به بعد التشكك والتردد بين أمرين، ومنها وسائل لغوية ووسائل بلاغية ووسائل منطقية.

الوسائل اللغوية ودورها الحجاجي:

أولا: المفردات اللغوية ووظيفتها الحجاجية:

للألفاظ أهمية خاصة في اللغة العربية عند مستخدميها قديما وحديثا، تتجلى هذه الأهمية في الدور الذي تؤديه الألفاظ في سياقها بما يتفجر في داخلها من جمال ورشاقة، وما تتألف منه من أصوات حروفها، ولذلك عُني العرب باختيار اللفظ عناية كبيرة حتى عده الجاحظ من البلاغة فقال: "أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير اللفظ ..."(١)، وفي "زهر الآداب" يقول "القيرواني" نقلا عن أبي داود الإيادي: "رأس الخطابة الطّبع، وعمودها الدّربة، وجناحاها رواية الكلام، وحليها الإعراب، وبهاؤها تخيّر اللفظ.."(٢)، وعناية العرب منذ العصر الجاهلي بالألفاظ عناية كبيرة في كلامهم وفي أشعارهم .. والذي يدل على ميل الجاهليين إلى انتقاء الألفاظ وجودة رصفها، ورود ألقاب كثيرة من الشعراء تدل على ذلك، مثل المهلهل، الذي أطلق عليه ذلك –كما يقولون– لأنه هلهل ألفاظ الشعر وأرَقَّها، كما لقبوا المرقش بذلك لتحسينه شعره وتنميقه،

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ: ١٩٥/١، دار الهلال– بيروت ١٤٢٣هـ.

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب للحصري القيرواني: ١٤٨/١، تحقيق/ محمد زكي عبد السلام مبارك، دار الجيل– بيروت ١٩٢٥م.

وهكذا قالوا في المثقب والمتنخل وفي غيرهم[١].

وليست العناية باللفظ إلا من أجل المعاني، فهي صورتها المادية الملموسة، ولولاها لظلت مطمورة في الأذهان، محجوبة عن البيان، ولذلك يجعل "ابن جني" في كتاب "الخصائص" بابا سماه: "باب في الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني"، يقول في بدايته: "اعلم أن هذا الباب من أشرف فصول العربية وأكرمها وأعلاها وأنزهها .. وذلك أن العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها، وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة وبالخطب أخرى وبالأسجاع التي تلتزمها وتتكلف استمرارها فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخم قدرًا في نفوسها، فأول ذلك عنايتها بألفاظها، فإنها لما كانت عنوانَ معانيها وطريقًا إلى إظهار أغراضها ومراميها أصلحوها ورتبوها، وبالغوا في تحبيرها وتحسينها؛ ليكون ذلك أوقع لها في السمع وأذهب بها في الدلالة على القصد ..."[٢].

ولا شك أن للفظ المختار بعناية ودقة أثرَه البالغ في خروج الأسلوب مستويا لا اعوجاج فيه، وهذا منهج أدبي مهم، ومعيار أصيل في لغته التي تتميز عن غيرها بالجمال والرونق والبهاء، ولذلك دور حجاجي بالغ في وصول المحاجج إلى غايته وهي التأثير في المتلقي.

والذي يسود دائما في كلام النبي ﷺ هو انتقاء الألفاظ المناسبة الدالة المعبرة، ولا سيما في خطابه الذي تغلب عليه الطبيعة الحجاجية، وفي حادثة قسمة غنائم حنين هناك ألفاظ تلفت النظر في حواره مع الأنصار مثل كلمة (قَالَة) في قوله ﷺ مخاطبا الأنصار ومحاججا إياهم حينما سمع بقولتهم في قسمة غنائم حنين: "**يَا**

---

(١) ينظر: في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي: ٤٥٣، مكتبة دار التراث، طبعة دار التراث الأول ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

(٢) الخصائص لابن جني: ٢١٦/١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م.

مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ؟"[1]، والقالة كما في لسان العرب: القَوْلُ الْفَاشِي فِي النَّاسِ[2]، وفي حديث عمر يوم السقيفة: "وقد كنت زوّرت في نفسي قالةً أقوم بها بين يدى أبى بكر فلم يترك أبو بكر شيئا مما زورته إلا تكلم به"[3]، وهي كما نرى جاءت مفردة مؤنثة منكرة للدلالة على إنكار النبي ﷺ فهي لفظة واحدة تحمل رسالة حجاجية، تقرع أذهان المحاجَج منذ الوهلة الأولى، وتنبهه على أن ثمة شيئا في كلامه هو محل اعتراض، بل محل استنكار واندهاش، والأمر إذا كان كذلك عند النبي ﷺ فلا شك أنه مثار فزع في قلوب الأنصار، لمكانة النبي ﷺ في قلوبهم، مهما كانت لهم حجة، أو كان لهم وجه في قالتهم التي قالوها، فهذه الكلمة المعجمية المشتقة من القول دقيقة في مبناها ومعناها، تدل على ارتكاب المخاطَب لمخالفتين: المخالفة بالكلام، والمخالفة بالإفشاء، وهي أيضا أخف على اللسان من غيرها من مشتقات الفعل (قال) الاسمية، كقول أو مقالة، مما يوحي بشيء من الاستخفاف بالمقول، أي إنكار قوله، وليس التهوين من قائله.

وبالنظر في دلالة هذه المفردة من ناحية أخرى يتراءى للمتلقي عدم استعظام ما قاله الأنصار من قِبل النبي ﷺ، فالأمر لديه قليل الشأن لا يستحق أن يوصف بأعظم من هذه اللفظة المعجمية الدالة على التناهي في الصغر، وهو ما يجعل الأمر متعلقا بتقبل النبي ﷺ للأمر، والتسامح مع الأنصار– رضي الله عنهم وأرضاهم– لمكانتهم في نفسه، فكأنه ﷺ لم يُرد أن يفزِّعهم باستخدام لفظة أخرى أكثر قوة من لفظة (قالة)، لعلمه بحبهم إياه وأن قليلا من غضبه كثير في نفوسهم، لأن طاعة النبي ﷺ واسترضاءه كانت

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٢٥٤/١٨، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.

(٢) لسان العرب (قول).

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٢٧/١٢، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ– ١٩٥٩م.

غايتهم العليا في هذه الحياة، ومتعلقا كذلك بكونه كلاما ذا علاقة بمطلوب دنيوي، وهو الرغبة في الاقتسام من الغنيمة، ولهذين الاعتبارين استخدم النبي ﷺ هذه المفردة التي تعد وسيلة حجاجية، وتعد في الوقت ذاته إحدى الألفاظ اللينة التي قصدت للجمع بين التلطف في القول وإعلان الرفض.

وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ قال لهم: "**ما حديث بلغني عنكم؟**"(١)، حيث جاءت كلمة (حديث) بدلا من كلمة (قالة)، وهي أيضا تخدم الخطاب الحجاجي الدال على إعلان إنكار المقول بتنكيرها وإفرادها، لكن التأنيث في كلمة (قالة) بما يدل عليه من القلة أو التقليل(٢)، يجعلها أكثر تأثيرا في نفس المخاطَب/ المحاجَج وهم الأنصار من حيث وصول رسالة المخاطِب/ المحاجِج وهو النبي ﷺ، وكذلك لدلالة منطوقها على الحجاج والتلطف في آن واحد.

ومن الكلمات المعجمية ذات الأثر البالغ في خطاب النبي ﷺ الحجاجي في حواره مع الأنصار كلمة (لُعاعة) التي وردت في قوله: "**أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لُعَاعَةٍ من الدنيا تألَّفتُ بها قوما أسلموا؟**"، وهذه المفردة خاصة تحمل طاقة حجاجية قوية، وتُفجِّر في نفس المتلقي معاني كثيرة، تجعله يعيد التفكير في نظرته للمال.

والمال الذي حازه المسلمون في غزوة حنين كان كثيرا وفيرا عريضا، حتى إن نصيب الواحد ممن أعطاهم النبي ﷺ قد بلغ مائة ناقة، وهو بعملة العصر رقم خيالي(٣)، وقد وقع تحت أيدي المسلمين وخاصة الأنصار منهم

---

(١) صحيح البخاري: ٥/ ١٥٨، والبداية والنهاية: ٤/ ٤٠٩.

(٢) ينظر: شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش: ٣/٣٧٦، تحقيق د/ إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م.

(٣) قال التجار في السوق: إن أسعار الإبل تبدأ من ٥ آلاف للجمل الصغير و١٠ آلاف للجمل الوسط، ويصل إلى ٣٠ ألفاً. ينظر: جريدة اليوم السابع الإلكترونية، مقال بعنوان: "يبدأ من ٥ آلاف ويصل لـ٣٠ ألف جنيه.. أسعار الجمال في سوق دراو بأسوان ومن أين تأتى؟" يوم السبت الموافق ٣٠ أكتوبر ٢٠٢١م:
https://www.youm7.com/story/2021/10/30/%D9%8A%D8%

بعد صبر وقتال جهيد، فمن حقهم أن يطلبوه، ولا حرج عليهم في ذلك، لكن النبي ﷺ يصف هذا النصيب الأوفى من الأموال باللعاعة، فكل هذا لا يستحق أن يستنزف تفكير الإنسان، ولا أن يأخذ منه في الجهاز الصوتي جهدا عضليا أكثر من النطق بهذه الكلمة، فضلا عن الاعتراض على فعل النبي ﷺ.

واللفظة أصلها (ل ع ع) واللُّعاعة: البقية اليسيرة، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: مَا بَقِيَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لُعاعةٌ أَي بقِيَّةٌ يَسِيرَةٌ(١)، واللُّعاعة، واللُّعاع: أول النَّبْتِ، وَقيل: هُوَ بَقْلٌ نَاعِمٌ فِي أول مَا يبْدَأ، رَقِيقٌ لم يغلُظ، واحدته: لُعَاعَةٌ، وَقَالَ اللَّحيانيّ: بقي فِي الْإِنَاء لُعاعَة: أَي قَلِيل، ولُعاع الشَّمْس: السَّرابُ(٢)، ولا شك أن تعريف الكلمة تعريفا حجاجيا يقتضي أن نأخذ في الاعتبار دورها الدلالي في التأثير والإقناع(٣).

والمعنى اللغوي للفظة يعطي معنى حجاجيا صادما منذ لحظة نطق النبي ﷺ بها؛ فالأنصار ينظرون إلى الغنائم على أنها شيء عظيم، يستحق أن يُطلب، فما يعطيه النبي ﷺ للمسلمين حديثا يفوق أمنيات النفس البشرية في تحقيق الثراء وتحصيل الثروة، ومع هذا يسميه النبي ﷺ: (لُعاعة)، أي شيء هين يسير متهافت لا قيمة له، فهذه اللفظة تقرع الأذهان، وتنبه الخاطر، وتصيب المتلقي بحالة من الدهشة؛ لأنها تقلب المعنى في نفسه، وتتخذ من حجته حجة معاكسة، تغاير زعمه، وتناقض مكنون نفسه، فهي تعمل على اجتثاثِ هذا المعنى المتنامي البازخ بقوة شديدة، فتهوي به إلى أسفلَ حتى تترك بنيانه رمادا، والعصفِ بما تمكّن في ذوات الأنصار من أهمية هذه الغنائم، واستحقاقهم هذا المال؛ وإنها بهذا المعنى تعد وسيلة حجاجية لغوية

---

(١) لسان العرب (ل ع ع).

(٢) المحكم لابن سيده: (ل ع ع)، ١/ ٩٦، تحقيق/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية– بيروت– الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

(٣) ينظر: الحجاج في القرآن الكريم، عبد الله صولة: ٦٨.

قوية، تعيد المتلقي/ الأنصار إلى الوقوف في مربع آخر، والنظر بعين أخرى، وهي العين التي يرى بها النبي ﷺ هذه الأموال الطائلة، ويرى بها الدنيا كلَّها، ففي حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذِي الْحُلَيْفَةِ فَرَأَى شَاةً شَائِلَةً بِرِجْلِهَا فَقَالَ: "**أَتَرَوْنَ هَذِهِ الشَّاةَ هَيِّنَةً عَلَى صَاحِبِهَا؟**"، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: "**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى صَاحِبِهَا، وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**"[(١)]، فالكلمة دالة على التهوين والتحقير من شأن المال والدنيا مما لا يدع للنفس بعدها أي مطمع.

والكلمة أيضا ليست وسيلة حجاجية لغوية بدلالتها فحسب، بل صوتيا أيضا بجَرْس حروفها كذلك؛ فتكرار حرف العين فيها، وهو حرف حلقي يجعل الناطق بها كأنه يغص، تتردد في حلقه ولا تمر إلى جوفه، واللام الأولى من الكلمة (لعاعة) هي حرف زلق ينتهي اللسان منه سريعا لتنتقل أعضاء النطق إلى مخرج العين، فيقف الحرف في الحلق، ثم كأن المتكلم يستجير بإخراج الزفير عن طريق الألف التي تلي العين الأولى ليستريح من عناء محاولة البلع، ثم يحاول مرة أخرى، فإذا بالعين الحلقية مرة أخرى تقف غصة في حلقه، فلا يملك إلا أن يلفظهما جميعا بإخراج النفس المتحشرج في جوفه مرة أخرى عن طريق النطق بصوت الهاء المستمد من حرف التاء المربوطة الموقوف عليه في آخر الكلمة: (لعاعة)، فالكلمة تمثل حال الدنيا، وتصور المال بالغصة في حلق الإنسان؛ فما له منه شيء، وما هو إلا شيء يتحشرج في حلقه، يحاول أن يرويَ به غلته فلا يستطيع، قد يستساغ في أول الأمر، ثم لا يبرح أن يقف وقوف الغصة في حلقه، حتى يلفظه سريعا دون أن يدرك منه

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم: ٣٤١/٤، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، قال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ".

شيئا، وهكذا يترك الإنسان الدنيا بكل ما فيها دون أن يصيب منها زادا يبلغ به مقصده؛ فهذه المفردة اللغوية تحاكي بمبناها معناها، وقد تناول "ابن جني" كثيرا من الأمثلة على ذلك في كتاب "الخصائص" في باب "إمساس الألفاظ أشبَاهَ المعاني"، وهو ما يشهد بجمال اللفظ العربي، ودقة تأليف أصواته، يقول ابن جني: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ونَهْج مُتْلِئِبٌّ[1] عند عارفيه مأموم؛ وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سَمْتِ الأحداث المعبَّر بها عنها فيعدلونها بها ويحتذُونها عليها، وذلك أكثر ممّا نقدّره وأضعاف ما نستشعِره"[2].

والكلمة كذلك دالة على الالتماع والبريق، كما جاء معناها في "المحكم": لُعاع الشَّمْس: السَّرابُ[3]، وَاللَّعْلَعُ السّرَابُ، وَلُعَاعُهُ بَصِيصُهُ[4]، فكما أن السراب يتراءى للناظر من بعيد كالماء، كذلك تلتمع الدنيا في عيون أصحابها، وتبرق في نواظرهم، وهو ما دل عليه النبي ﷺ، بل وحذر منه في قوله: "إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ"[5]، فدلت على أن هذا العطاء الغامر ما هو إلا سراب يوشك أن يختفي، لن ينال منه طالبه سوى التعب والنصب، إذ لا وجود له في عالم الحقيقة.

والمفردة من حيث بنيتُها الصرفية تأتي على وزن: "فُعَالَة"، وهو لِما فَضَلَ

---

(١) المتلئب المستقيم المطرد، يقال: هذا قياس متلئب، أي مستمر مطرد. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣/٩١.

(٢) الخصائص لابن جني: ٢/١٥٩، تحقيق/ محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د.ت)

(٣) المحكم لابن سيده: (ل ع ع)، ١/ ٩٦.

(٤) الروض الأنف: ٤/ ٢٧٤

(٥) صحيح مسلم: ٤/٢٠٩٨، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت ١٣٧٤هـ- ١٩٥٤م.

عن الشيء، أو رُمُيَ، نحو: الفُضالة، والقُلامة، والقُراضة..[١]، وللدكتور/ أحمد محمد الحوفي بحث بعنوان: "وزن فُعالة الدال على نفايات الأشياء ومتناثراتها وبقاياها"، ذكر أنه رجع فيه إلى لسان العرب وأساس البلاغة والقاموس المحيط وتاج العروس، واستخرج منها اثنتين وسبعين كلمة كلها على وزن فُعالة أدرجها مرتبة مشفوعة بمعانيها، وكلها بهذا المعنى الذي عنون به بحثه، كالبرادة والثمالة والحثالة والقراضة والقلامة والقمامة والنتافة والنخامة وغيرِها[٢]، واقترح هو ستا وثلاثين كلمة مقيسة على نظائرها التي استخرجها من معاجم اللغة، بمعان جديدة تعمل على ثراء اللغة وإسعاف المعبر والمترجم- على حد قوله- كما اقترح إصدار قرار بقياسية وزن فُعَالة للدلالة على نفايات الأشياء ومتناثراتها وبقاياها"[٣][٤]، وهذا كله يتوافق مع المعنى الأول لكلمة (لُعاعة) في معاجم اللغة وهو البقية اليسيرة، وفي استغلال هذه المعاني كلها للكلمة كسر لأفق التوقع عند المتلقي/ الأنصار بتعبير أصحاب نظرية التلقي، فقد أدهشهم هذا الخطاب وأصابهم بالذهول، حيث كانوا يتوقعون وعدا بالعطاء أو تبريرا آخر يتماهى مع ما في نفوسهم من وجد، ومن ثم فإن فيها حجاجية بليغة مقصودة معبرة عن حقيقة الدنيا الزائلة مهما فتنت

---

(١) ينظر: البديع في علم العربية لابن الأثير: ٤٧٢/٢، تحقيق د/ فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة- الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

(٢) ينظر: وزن فُعالة الدال على نفايات الأشياء ومتناثراتها وبقاياها، د/ أحمد محمد الحوفي: ٩١- ٩٧،

(٣) ينظر: وزن فُعالة الدال على نفايات الأشياء ومتناثراتها وبقاياها: ٩٧.

(٤) جاء في معجم الصواب اللغوي: "ومما صححناه عن طريق التوسع في القياس واستخدام جملة من القواعد الكلية التي أقر بعضَها مجمعُ اللغة المصري: قياسية «فُعالة» للدلالة على بقايا الأشياء، مثل: الأُكالة، والفُراكة، والحُدادة". معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، د. أحمد مختار عمر وآخرون: ٦، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

بجمالها ولمعانها الخادع.

ومن المفردات اللغوية كلمة (الناس) وجاءت في كلام النبي ﷺ مرتين في قوله: "**أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شِعبا وسلكت الأنصار شِعبا لسلكت شعب الأنصار**"(١)، وهي كلمة منتقاة تؤدي دورا إقناعيا، بدلالتها على الشيوع والعموم، وعدم حملها ما يفيد مدحا أو ذما، ومع أن المقصود بالناس هنا المسلمون الذين أخذوا الغنائم، فلم يكن التعبير بلفظ المسلمين أو المؤمنين أو غيرهما مناسبا في هذا السياق الذي آثر فيه النبي ﷺ هذه اللفظة لاجتثاث الغضب من نفوس الأنصار؛ فهم (معشر الأنصار)، وغيرهم: (الناس)، وهذا الخطاب يظهر عبقرية النبي ﷺ في خطاب المغضبين؛ حيث يتودد إليهم في خطابه، ويبتعد عن المفردات التي قد تزيد الشكوك في نفوسهم، أو التي وجودها كعدمها، لا تسهم بدور في الخطاب الحجاجي ، ولذلك يكرر هذه المفردة في سياق له الدلالة ذاتها؛ فكأن الأنصار وحدهم في مقابلة الناس جميعا؛ عربا وعجما، بيضا وسودا، فرفعهم إلى منزلة عالية فوق جميع الناس.

واللفظة نفسها استخدمها الأنصار بدون الألف واللام (ناسا) في قولهم: "أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئا، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشا ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم"، ليعلنوا من خلالها أن الذين قالوا هم المغمورون منهم، الأقلون منهم، الذين لا يعتد بقولهم، فهي أكثر إمعانا في الدلالة على التنكير والتماس العذر من رسول الله ﷺ.

ولأهمية اللفظ ودوره في السياق، وأثره في إقناع المتلقي يسمي ابن الأثير فصلا في كتابه: "في الطريق إلى تعلم الكتابة"، ويجعل المقالة الأولى فيه

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٤/٤١١.

بعنوان: "في الصناعة اللفظية "، يقول في القسم الأول منها: "اعلم أنه يَحتاج صاحبُ هذه الصناعة في تأليفه إلى ثلاثة أشياء:

الأول منها: اختيار الألفاظ المفردة، وحكم ذلك حكم اللآلىء المبدّدة؛ فإنها تُتخير وتُنتقي قبل النظم.

الثاني: نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها لئلا يجيء الكلام قلقا نافرا عن مواضعه؛ وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منها بأختها المشاكلة لها.

الثالث: الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه، وحكم ذلك حكم الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم، فتارة يجعل إكليلا على الرأس، وتارة يجعل قلادة في العنق، وتارة يجعل شنفا في الأذن"[١].

ثانيا: الأفعال الإنجازية للأساليب الإنشائية:

يرى الفيلسوف الإنجليزي "جون أوستن" في كتابه: "كيف ننجز الأفعال بالكلمات" "How to do things with words" الذي أسس فيه نظرية (أفعال الكلام) أن أفعال الكلام: أفعال خبرية وأفعال إنجازية، أو ملفوظات خبرية وملفوظات إنجازية، تنحصر وظيفة الكلام في النوع الأول في وصف الواقع، وهي لهذا صادقة أو كاذبة، في حين نجدها في النوع الثاني ذات وظيفة إنجازية قادرة على التأثير في الواقع، لذا لا يمكنها أن تنعت بالصادقة أو الكاذبة[٢]، والأساليب الإنشائية تتضمن أفعالا إنجازية تقصد من المقام أو السياق، ولا شك أنها تستهدف جذب الانتباه والتأثير على المتلقي، وتمثل اللغة في صورتها الحركية (الديناميكية)، ولذلك فإن اختيار المخاطِب أسلوبا دون

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير: ١٤٩/١، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية– بيروت ١٤٢٠هـ.

(٢) نظرية أفعال الكلام عند أوستين، نصيرة غماري: ٨٠، ٨١، مجلة اللغة والأدب– جامعة الجزائر ٢، العدد ١٧.

آخر في خطابه إنما هو لغاية حجاجية.

والجمل الإنشائية أكثر توكيدا من الجمل الخبرية في حال خلو الجملتين من أدوات التوكيد؛ لأنها خارجة عن نطاق التصديق والتكذيب، في حين أن الجملة الخبرية تخضع لعامل الصدق والكذب، لهذا تحتاج إلى مؤكد حين يشكك السامع في إخبار المتكلم، في حين أن الإنشاء هو طلب محض لا يخضع لهذا العامل ولهذا فهو مؤكد دائما، مجرد من التشكيك والتكذيب.. والجمل الإنشائية تأتي غالبا لمخاطبة العاطفة والانفعال، لذلك فهي تكثر في الشعر والخطب التي تقتضي التحريض والتحضيض وما إلى ذلك(١).

وكثيرا ما تكون الأساليب الإنشائية داعمة لحجة أو معضدة لها، لما في التركيب الإنشائي من إثارة، وما يستدعيه من عاطفة، وهنا تكمن وظيفته في العملية الحجاجية.

وسوف أتناول أبرز هذه الأساليب التي وردت في حوار النبي ﷺ مع الأنصار عقب غزوة حنين.

- **الاستفهام:**

أسلوب الاستفهام من أكثر الأساليب شيوعا وأهمية، ويعد من الوسائل الحجاجية التي تساعد على تحفيز المتلقي، وتعمل على إثارته، ويعد ركيزة أساسية في إنجاز المعنى؛ وهو من الوسائل الحجاجية المهمة التي تحفز المتلقي ويرتبط بعامل القصدية؛ "لأن المستفهم/ المرسل متى ما طرح سؤاله فإنه يدعو المتلقي إلى اتخاذ قرار ما، بل إن الجواب حتى لو كان معلوما يثير التساؤل حول المستفهم عنه، كما في الاستفهام المجازي"(٢)، لأن للاستفهام

---

(١) الأساليب الإنشائية الطلبية ودلالاتها النحوية والبلاغية في غزل شواعر الأندلس، أيمن مصطفى طه وآخرون: ٢٨، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، المجلد ٢٠ (١) ٢٠١٩م.

(٢) أسلوبية الخطاب التداولي والحجاجي: تنظير وتطبيق على السور المكية، د. مثنى كاظم صادق: ١٣٩، منشورات ضفاف- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.

أغراضا مجازية كثيرة، وليس المقصود به حقيقة الاستفهام عن الشيء فحسب.

ويستخدم الاستفهام بدلا من الأمر أو غيره من الأساليب الأخرى مراعاة للمقام، وإثارة لعاطفة المتلقي، يقول ابن الأثير في ذلك: "ومن ألطف ما وجدته أنك إذا خاطبت الممدوح أن تترك الخطاب بالأمر بأن تقول: افعل كذا وكذا، وتخرجه مخرج الاستفهام، وهذا الأسلوب حسن جدا، وعليه مسحة من جمال، بل عليه الجمال كله، وأورد منه قول البحتري:

فَهَلْ أَنْتَ يَا بْنَ الرَّاشِدِينَ بِيَاقُوتَةٍ تَبْهَى عَلَيَّ وَتُشْرِقُ(١)

وهذا من الأدب الحسن في خطاب الخليفة، فإنه لم يخاطبه بأن قال: خَتِّمْنِي بياقوتة، على سبيل الأمر بل خاطبه على سبيل الاستفهام، وقد أعجبني هذا المذهب، وحَسُنَ عندي"(٢).

والاستفهام من أهم الوسائل التي تحقق الصفة الحوارية للكلام، والتي تخلق أجواء تفاعلية تدل على الاحترام المتبادل الذي يتغيا الوصول إلى الرأي السديد.

والاستفهام في قول النبي ﷺ: "**أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما أسلموا**" هو استفهام بلاغي أو استفهام حجاجي، تتمثل وظيفته الحجاجية في فرض إجابة محددة على المتلقي، كما تتمثل كذلك في توجيه الخطاب وجهة معينة يقصدها المتكلم(٣)، فالاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي الذي يكون فيه السائل مستفهما عن حقيقة الشيء ولا يعرف الجواب عنه إلى الإنكار؛ فالنبي ﷺ ينكر على الأنصار أن يكونوا كذلك، أن يكونَ كلُّ ما في نفوسهم من حزن لأجل لعاعة من الدنيا لا تساوي

---

(١) ديوان البحتري: ١٥٣٧/٣، تحقيق/ حسن كامل الصيرفي، دار المعارف– مصر ١٩٦٤م، والبيت من قصيدة له يمدح فيها المعتز بالله ويستوهبه فَصًّا.

(٢) ينظر: المثل السائر: ١٨٩/٣.

(٣) ينظر: الخطاب الحجاجي في القرآن الكريم، عبد الله صولة: ٤٢٧.

شيئا، فحاصرهم بهذا السؤال، بل أربكهم وفرض عليهم أن يغيروا نمط التفكير الذي كان في نفوسهم قبل هذا السؤال، "ويكتسي الاستفهام طابَعا حجاجيا حينما يكون بلاغيا، فهو في هذه الحالة أشد إقناعا للمتلقي، وأقوى حجة عليه، ذلك أنه حينما يخرج عن مقتضى الظاهر يصبح أكثر بلاغة وتأثيرا، وينطوي في بنيته على قوة حجاجية بالغة التأثير"(١)، "فالاستفهام الخارج من بنيته المقامية في الخطاب، والداخل في معان أخرى يهدف إلى إضعاف موقف المتلقي معنويا وإلزامه بالجواب، والإقرار بما يريده المرسل"(٢)، ومن فوائد الاستفهام الإنكاري البلاغية العديدة "أن المتكلم حينما يلقي كلامه بصيغة الاستفهام، فإن ذلك يدل على الثقة التي تملأ نفسه؛ لأنه يلقي كلامه وهو يدرك أنه لو كان في كلامه أدنى ريب لرده عليه قائله جوابا على استفهامه"(٣)، ويقول "الجرجاني" في القوة الحجاجية الكامنة في الاستفهام: "واعلم وأنا إن كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار، فإن الذي هو محض المعنى: أنه ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجلَ ويرتدعَ ويعيَى بالجواب"(٤).

ومن الاستفهامات التي وردت في هذا الحوار قول النبي ﷺ: "**أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم**"، وهو سؤال بلاغي حجاجي غرضه العرض

---

(١) البنية الحجاجية في شعر عز الدين ميهوبي، فوزية زيار: ٢٢١، رسالة دكتوراه، جامعة وهران- الجزائر ٢٠١٨-٢٠١٩م.

(٢) أسلوبية الخطاب التداولي والحجاجي: تنظير وتطبيق على السور المكية، د. مثنى كاظم صادق: ١٣٩.

(٣) البلاغة: فنونها وأفنانها (علم المعاني)، د/ فضل حسن عباس: ١٩٩، دار الفرقان- إربد، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

(٤) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١١٩، تحقيق/ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

والتحضيض الذي يحمل الأنصار على الإقرار والرضا بعطاء الآخرة على عطاء الدنيا، فليس استفهاما حقيقيا؛ لأن الإجابة فيه معروفة لدى المخاطِب/ النبي ﷺ، ولكن القصد منه اجتثاث ما في نفوسهم من غضب، ويوجه أنظارهم وجهة أخرى بعيدا عن النظر إلى الغنائم ومظهرها الخلاب، ونلاحظ أن كلمة "أفلا" التحضيضة هنا دخلت على جملتين فكأنه قال:

الأولى: أفلا ترضون أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير.

الثانية: أفلا ترضون أن تذهبوا برسول الله إلى رحالكم.

وبينهما تقابل يبين الفرق الذي قصده النبي ﷺ؛ حيث إنهما يمثلان صورتين لفريقين قافلين من الغزوة أو من مكان توزيع الغنائم(١)؛ الفريق الأول عائد بالأموال، والفريق الآخر عائد برسول الله ﷺ، فجعل نفسه ﷺ في مقابلة عرض زائل من الدنيا، وترك للأنصار الموازنة بين الحالين؛ فالأموال زينة الحياة الدنيا التي تلمع في عيون الناس، فكأنما لفتهم إلى النظر بعين البصيرة لا بعين البصر، واحتج عليهم بمقياس ديني، فعطفهم إلى مبادئ الإسلام التي تربَّوْا عليها، وأخلاقه التي تنشأوا في كنفها، وأقام عليهم الحجة التي استدرت عاطفتهم، وألهبت مشاعرهم، ووصلت بهم إلى التسليم بالحجة.. والسؤال البلاغي هنا يؤدي دور الإخبار عن الإجابة التي تكون بدهية للمتكلم والمخاطَب معا، باعتبار أن وظيفة السؤال هنا لا تتعدى التذكير بالجواب نفسه(٢).

وسؤال النبي ﷺ في بداية القصة حينما بلغه خبر غضب الأنصار الذي قال فيه: "**مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ؟**"(٣)، سؤال حجاجي يفيد التعجب، فالنبي ﷺ كما هو واضح من كلامه الشريف يتعجب

---

(١) أمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال فجمعت إلى الجعرانة وجعل عليها بديل بن ورقاء الخزاعي. الكامل في التاريخ، أبو الحسن الشيباني: ١٣٨/٢، تحقيق/ عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية- بيروت – الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

(٢) ينظر: تجليات الحجاج في القرآن الكريم (سورة يوسف أنموذجا): ٢٢٧.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٢٥٤/١٨، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

من صدور هذا القول من الأنصار خاصة، وقد وكلهم إلى إسلامهم، وللتعجب هنا أهمية حجاجية تتمثل في لفت الانتباه، وإيقاظ الخاطر، وتحريك العواطف، فلم يأت الاستفهام لمجرد الاستخبار، بل خرج عنه إلى غرض بلاغي، وأدى دورا في إبراز الغاية الحجاجية، وتقوية الأداء الخطابي في العملية الحجاجية، ومثله قول الأنصار: "إذا كانت الشدةُ فنحن نُدْعى، وتُعطى الغنيمةُ غيرَنا"(١)، وهو هنا استفهام تعجبي بصيغة الخبر، وفي التعجب معنى الإنكار، والتعجب "معنى قائم بالنفس يحصل من إدراك الأمور القليلة الوقوع"(٢)، وقد يراد العتاب مع التعجب في كلام الأنصار، كما يراد اللوم كذلك مع التعجب في كلام النبي ﷺ، لكنهما مستخفيان وراء الأسلوب الرقيق الذي اكتنف شعور التعجب والاندهاش والانفعال بأسلوب الاستفهام الإنشائي.

ومن الاستفهامات التي أدت إلى زيادة توهج الخطاب الحجاجي، وكانت من أبرز الأساليب التي أدت إلى سرعة إقرار الأنصار بالحجة، والوصول بهم إلى التسليم والإذعان في هذا الحوار قول النبي ﷺ "**يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟**"، فالاستفهام تقريري، يتركب من ثلاث جمل، تحمل كل جملة منها نعمة من النعم التي نالها الأنصار بفضل هجرة النبي ﷺ إليهم؛ وهي الهداية، والغنى، والتأليف بين القلوب، فهو استفهام مركب، أو هو استفهامات ثلاثة، في كل جملة من الجمل الثلاث منة بنعمة عظيمة ظاهرة لا توزن بغيرها من النعم، ومن ثم فهي لا تُجحد، ولا يمارى فيها، فكان توظيف الاستفهام في سياق المن بهذه النعم الجليلة سبيلا إلى الاعتراف والإقرار، "وميزة التقرير بالاستفهام أن فيه انتزاعا بالإقرار من المخاطب، وإقرار المخاطب بمضمون الاستفهام- ثبوتا

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي: ١٧٣/٥.

(٢) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني: ٣٧٩/٢، عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية- بيروت (د.ت).

أو نفيا- آكد من ذكره بأسلوب الخبر"[١].

وقد ظهرت قوة الاستفهام باعتباره وسيلة حجاجية، وفعلا كلاميا إنجازيا، يحاصر المتلقي بالإنكار تارة وبالتعجب والعتاب تارة أخرى، ويعمل على إثارة الحوار وتوليد النقاش، مما يمنح الخطاب طاقة حجاجية أكثر من الكلام الخبري.

- **النداء:**

النداء أيضا أحد أفعال الكلام التي تحقق فعلا إنجازيا، وهو طلب المتكلِم الإقبالَ من المخاطَب؛ حقيقة بجسده، أو بحسه وجوارحه، والإصغاء إليه، والجملة الإنشائية بالنداء في الأصل جملة خبرية، أو منقولة من جملة خبرية، فالنداء- عند علماء البلاغة: " هو طلبُ المتكَلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب «أنادي» المنقول من الخبر إلى الانشاء"[٢]؛ فهو نوع من التصرف في الكلام، والانتقال به إلى ما هو أكثر جاذبية وإثارة للمتلقي وكسب اهتمامه، واستغلال الطاقة الحجاجية في الجملة الإنشائية، "لذا يظهر جليا أن النداء يساعد على تمتين عُرى التواصل بين المرسل والمتلقي"[٣].

وفي حوار النبي مع أصحابه من الأنصار في حادثة غنائم حنين يستخدم ﷺ النداء كثيرا، كما في قوله: "**يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَار: مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ؟**".

وقوله: "**يا معشر الأنصار: ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بي**".

---

(١) لغة الحديث النبوي وفق استراتيجيات الخطاب (كتاب اللؤلؤ والمرجان أنموذجا)، رضوان عبد الكريم الطاهر عمران: ٨٥، ماجستير- جامعة اليرموك ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد الهاشمي: ٨٩، تحقيق د/ يوسف الصميلي، المكتبة العصرية- بيروت.

(٣) الخطاب الحجاجي بين الإمام علي ومعاوية، محمد موسى زيدان الوديان: ٨٤، رسالة دكتوراه- جامعة اليرموك ٢٠١٩م.

وقوله: "**ألا تجيبون يا معشر الأنصار؟**".

وقوله: "**أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما أسلموا**".

وقوله: "**أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم**".

وإذا وُضعت هذه النداءات الخمسة في قرن واحد كما هي، في سياق موقف واحد هو أقرب إلى العتاب، فإنها تثير في نفس المتلقي إحساسا بالندم المنبعث من قوة حجة المتكلم/ النبي ﷺ؛ فمع إيثار صفة الأنصار التي تفيد التعظيم اعترافا لهم بالفضل وتذكيرا بمواقفهم البطولية في نصرة نبي الإسلام، يعطي هذا الأسلوب قوة حجاجية أخرى، وهي إشعار الأنصار بضعف موقفهم، وأن موقفهم هذا لا يتناسب مع هذا المعنى العظيم التي توحي به صفة الأنصار؛ فكأن النبي ﷺ بتكرار هذا النداء يحاججهم بأنهم على وجه الخصوص ما كان يُنتظر منهم ذلك أو يتوقع، فهم الأنصار المقربون منه، المحببون لديه، الواثقون فيما يفعل، الموعودون بكل خير لما قدموا، كما يحدث في عتاب شخص لآخر مدين له بالفضل والنعم السابغة، فيكرر اسمه للضغط على أحاسيسه، والاستحواذ على مشاعره، وإظهار العتاب بشكل موجع.

وحيث إن حرف النداء (يا) يستخدم للبعيد غالبا، وهو أكثر حروف النداء استعمالا، كان هو أنسب حروف النداء في هذا السياق؛ لأن المقام مقام عتاب وتذكير بالتاريخ العظيم الذي أوحت به كلمة (الأنصار)، فناسبه هذا الحرف إشعارا بأن أمرا ما يستحق رفع الصوت وإطالته المستشعَرين من حرف المد في (يا)، وكل هذا يولد انفعالا وطاقة حجاجية مؤثرة في جذب المخاطب وإثارة انتباهه، فهذا الحرف خاصة قادر على منح الحجة الخِطابية مزيدا من القوة والتأثير.

وهذا النداء أيضا نداء المعاتب الباقي على الوُدّ، نداء رقيق يحمل كثيرا من معاني الرحمة والحنان اللذين يملآن قلب النبي ﷺ تجاه أصحابه؛ وهو

مظهر من مظاهر التلطف والملاينة التي تكسر حدة المواجهة، وتُفضي بالحوار إلى نتائجه المرجوة، وتأخذ المتلقي إلى طريق التسليم والإذعان.

وقد ردد الأنصار كثيرا في هذا الحوار النداء بقولهم: "يا رسول الله" تعظيما له، وعرفانا بقدره، وحبا فيه وتلذذا بذكر اسمه ﷺ؛ فالنداء عموما يدل على قرب المنادَى من نفس المنادِي، وهو ما يدل أيضا على أن الأنصار يلقَوْن النبي باستحياء شديد ممزوج بالتقدير والتعظيم؛ فالحوار بينهم وبينه ليس حوار تصادم، ولا مواجهة، بل هو تَعاتبٌ راقٍ رقيق مؤدب.

- **القَسَم:**

القسم- بفتح القاف والسين- أسلوب إنشائي غير طلبي يُسهم في التعبير عن انفعال المتكلم ومشاعره الذاتية، والغرض منه تأكيد الكلام وتقويته في نفس المتلقي، يقول سيبويهِ: "اعلم أن القسم توكيد لكلامك"(١)، ويقول ابن سيده: " اعْلَم أَن القَسَم هُوَ يَمِين يُقسِم بهَا الْحَالِف ليؤكد بهَا شَيْئا يُخبر عَنهُ من إِيجَاب أَو جحد، وَهُوَ جملَة يُؤَكد بهَا جملَةً أُخْرَى، فالجملة المؤكَّدة هِيَ المُقْسَم عَلَيْهِ، وَالْجُمْلَة المؤكِّدة هِيَ القسَم، وَالِاسْم الَّذِي يدْخل عَلَيْهِ حرف القسَم هُوَ المُقْسَم بِهِ، مِثَال ذَلِك: أحلِف بِاللَّه أَنَّ زيدا قَائِم، فقولك: إِن زيدا قَائِم هِيَ الْجُمْلَة المُقسم عَلَيْهَا، وقولك أحلِف بِاللَّه هُوَ القسَم الَّذِي وكَّدت بِهِ أَن زيدا قَائِم، والمُقسَم بِهِ اسْم الله ﷻ"(٢).

والقسم في حديث النبي ﷺ كثير جدا؛ لأنه بعث للناس كافة، ومنهم المنكر المكذب، ومنهم الشاك المرتاب، ورسالته منها ما هو إخبار عن الغيب، ومنها ما هو وعد بعظيم الجزاء، ومنها ما هو وعيد بشديد العذاب، وكل هذه مقامات مختلفة تحتاج إلى لغة قوية مؤكدة حتى تكون أكثر وقعا وتأثيرا في نفس المخاطب.

---

(١) الكتاب لسيبويه: ١٠٤/٣، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) المخصص لابن سيده: ٧١/٤، تحقيق/ خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

والحوار الذي بين أيدينا مقام آخر، يختلف عن كل ما سبق، فهو ليس مقام وعظ بقدر ما هو مقام عاطفي يتولى فيه النبي ﷺ تطييب خاطر الأنصار، واستلال ما حاك في صدورهم من غضب، ومع ذلك فقد وظف النبي ﷺ القسم في حواره ليختصر كثيرا من المسافات التي تقطعها الجملة الخبرية حتى يتمكن الكلام في النفوس، ويستقر في القلوب.

ومن ذلك قول النبي ﷺ: "**فوالّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ**"، وقوله: "**فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به**".

وهذان الموضعان يبينان حب النبي ﷺ للأنصار وحرصه عليهم، والموضع الأول واضح الدلالة على ذلك، والثاني يدل على حرصه عليهم ببيان فضل الباقي على الفاني، أو فضل الآخرة على الدنيا بأسلوب المقابلة بين ما ينقلب به المؤلفة قلوبهم من متاع الحياة الدنيا، وما ينقلب به الأنصار من صحبة رسول الله ﷺ ووجوده بينهم، فالقسم هنا في أبرز مواطن الحوار التي هي أهدافه أو غاياته الحجاجية التي قام عليها؛ فإن أهم ما قصده النبي ﷺ من هذا الحوار أمران:

الأول: تطييب خاطر الأنصار وتوضيح مكانتهم عنده التي لم تنقص بناء على أنه لم يعطهم من الغنائم كما توهموا.

الثاني: بيان أن مطلوب الآخرة أعظم من مطلوب الدنيا.

وهاتان غايتان كبيرتان تستحقان القسم وما يوحي به من انفعال وحرارة في القول، وبذلك تتحدد أهمية القسم في مثل هذه المواقف العظيمة، ويتبين ذكاء النبي ﷺ في القسم حين يكون الأمر جللا، والموقف يستدعي الحسم بكلام واضح لا ليونة فيه.

كما نجد أن النبي ﷺ قد نوّع في أسلوب القسم، فمرة قال: "**فوالذي نفسُ محمد بيده**"، ومرة قال: "**فوالله ..**" وهذا التنوع يعطي الكلام جاذبية، ويكسبه رشاقة وحيوية، ويدل على العاطفة الصادقة، ويلقي في روع المتلقي الإحساس بالكلام، ويجعله أكثر انفعالا وتصديقا له.

وبتأمل صيغتي القسم: (والذي نفسي بيده)، و(والله) يتبين أن كلتا الصيغتين قسم بذات الله- سبحانه وتعالى- وتأكيد قوي للحجة الكلامية، لكن الصيغة الأولى أكثر تأكيدا؛ لأن فيها إشعارا باستعداد المُقسم للحساب أمام الله على كلامه الذي قاله؛ ففيها مزيد تأكيد، وفضل انفعال وثقة بما قيل، ولذلك جاءت الصيغة الأولى مع الغاية الأولى من حوار النبي ﷺ مع الأنصار، وهي تطييب خاطر الأنصار وتوضيح مكانتهم عنده ﷺ.

ومن اللافت للنظر أن النبي ﷺ قد استخدم القسم لدفع ما أقسم عليه الأنصار؛ فهم أيضا استخدموا هذا الأسلوب متوهمين أن النبي ﷺ فضّل المؤلفة قلوبهم عليهم مع أنهم أصحاب النصر فقالوا: "والله إن هذا لهو العجب إن سيوفنا لتقطر من دمائهم، والغنائم تقسم فيهم"(١)، أن النبي ﷺ يؤثر قومه بالغنيمة عليهم "لقي والله رسول الله قومه"(٢)،

فالقسم واقع من الطرفين، والانفعال في لغة الخطاب الحجاجي ظاهرة من خلال أسلوب القسم، وكأن الكلام سجال؛ قَسَمٌ يقابل قسما، وهذا ما يدل على تقدير النبي ﷺ للموقف تقديرا دقيقا، حيث قابل اللغة الثائرة بلغة ثائرة مثلها، والعاطفة الجياشة بعاطفة أكثر منها جيشانا وقوة وانفعالا، فلكل مقام مقال، ولكل حالة لبوسها .. وقد حذر النقاد من الوقوع في خطأ التصور أو التقدير للمخاطب، لأن نتائج ذلك في العملية الحجاجية هي نتائج سلبية، فالخطيب المتمكن هو الذي يتفاعل تماما مع تفكير مخاطبيه وقناعاتهم، وذلك بخلاف الخطيب الانطباعي الذي لا يهتم إلا بما يقتنع هو به(٣).

فالقسم إذن وسيلة حجاجية قوية تفعم الحوار بالانفعال الدال على قوة

---

(١) البداية والنهاية: ٤/٤١٠

(٢) البداية والنهاية: ٤/٤١١.

(٣) ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم الطلبة: ١١٩، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

المحاجج، وتكشف عن صدق المتكلم، وفي حوار النبي ﷺ يستخدم القسم لتأكيد الحب للأنصار والحرص عليهم، والإفصاح عن العاطفة القوية نحوهم، وإعلان تقديره لموقفهم، وأخذ الأمر مأخذ الجد والاهتمام، وليس لدفع إنكارهم؛ فهم أكثر الناس تصديقا له، فلا يشترط في استعمال القسم أن يكون المخاطب منكرا؛ يقول ابن حجر: "وَالْخَبَرُ يُؤَكَّدُ بِالْقَسَمِ كَثِيرًا وَإِنْ كَانَ السَّامِعُ غَيْرَ مُنْكِرٍ"، ومن ثم كانت وظيفته الحجاجية أوسع دائرة من التأكيد، وأبعد منه غورا في نفس المتلقي.

- **الأمر:**

الأمر أسلوب إنشائي طلبي، وهو فعل كلامي إنجازي، يقصد به توجيه المخاطب، وحمله على فعل ما، فتتمثل وظيفته الحجاجية في قوته الإنجازية التي يكون غرضها التأثير في المتلقي، وإقناعه بفعل ما يريده المتكلم.

والأمر هو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء، حيث يكون من الأعلى إلى الأدنى، فالأعلى يطلب ممن هو دونه حصول الفعل وتحقيقه ويبعثه ويحثه عليه، وهذا هو الأصل فيه؛ لأنه هو المتبادَر إلى الذهن عند سماع الأمر، ولكن تستعمل صيغ الأمر في غير هذا الأصل الذي وُضعت له، فتفيد الإباحة أو الدعاء أو التهديد أو التمني أو الحث والإثارة أو الاستمرار والدوام على تحقيق الفعل، إلى غير ذلك من المعاني التي تفيدها هذه الصيغ بمعونة السياق وقرائن الأحوال(١).

ويأتي الأمر في خطاب النبي ﷺ في هذه القصة موجَّها إلى الصحابي الجليل "سعد بن عبادة" رضي الله عنه حينما بلغه أن الأنصار قد وجدوا عليه في أنفسهم، حيث سأله عن موقفه من ذلك ثم قال له: ""**فاجمع لي قومك في هذه**

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني: ٣/٨١ وما بعدها، تحقيق/ د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل– بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ– ١٩٩٣م.

الحظيرة، فإذا اجتمعوا فأعلمني"[1]، وهي صيغة قوية من صيغ الأمر، تحمل معنى الحزم والجد، فالأمر بفعل الأمر هو أول صيغ الأمر وأقواها؛ إذ هي أقوى من صيغة المضارع المقرون بلام الأمر[2]، واسم فعل الأمر[3]، والمصدر النائب عن فعل الأمر[4][5]، فالأمران: اجمع- أعلِم حاسمان يدلان على خطورة الأمر، وعلى قوة شخصية النبي ﷺ ولباقته الفريدة في حل القيادة ومجابهة المشكلات؛ فلم يتوانَ في ذلك، بل جد في معالجته، بعدما جمع الأنصار جميعا في مكان واحد ليس فيه غيرهم، وخاطبهم بكل قوة ووضوح، دونما إبطاء أو مواربة؛ ففيهما تكليف بمهمة رسمية على وجه الفور من القائد الأعلى محمد ﷺ لصحابي من صحابته، لذلك كان الأنسب هنا استخدام الأمر بفعل الأمر لقوته في الطلب ودلالته على الاستعلاء.

ومن نماذج فعل الأمر في كلام النبي ﷺ الأمر بالصبر في قوله للأنصار في ختام القصة: "**ستجدون أثرة شديدة، فاصبروا حتى تلقَوُا الله ورسوله فإني على الحوض**"[6]، والأمر بالصبر في ختام القصة جاء بعد جلاء الموقف، وفيه طلب الصبر على سبيل التوجيه، فهو أسلوب توجيهي يحتمل الإلزام بالفعل للمخاطب/ الأنصار، فلم يكن الأمر هنا وسيلة للضغط على الأنصار أو تخطئتهم، بل هو وسيلة إرشاد وتوجيه، "والشحنة الحجاجية لهذا الأسلوب لا تنبع من الصيغة التلفظية له، وإنما من مكانة المحاجِج

---

(١) البداية والنهاية: ٤/٤١١.

(٢) كقوله تعالى: "لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ" (الطلاق: ٧).

(٣) كقوله تعالى: "عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ" (المائدة: ١٠٥)، أي: الزموا أنفسكم.

(٤) كقوله تعالى: "وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً" (البقرة: ٨٣).

(٥) ينظر في بيان ذلك: أساليب بلاغية: الفصاحة- البلاغة- المعاني، أحمد مطلوب الرفاعي: ١١٠، وكالة المطبوعات-الكويت، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.

(٦) صحيح مسلم: ٢/٧٣٣.

الآمِر"[1].

وقد اتضح أن لأسلوب الأمر دورا حجاجيا يُظهر سلطةَ المخاطِب، ويبين رتبته، ويدل على استعلائه على المخاطَب، وإذا كان يُفهم منه الوجوب، فإن هذا الوجوب لا يتحقق بصيغة الأمر، بل بسلطة المحاجِج، والمحاجِج هنا هو النبي ﷺ وسلطته مستمدة من الثقة المطلقة فيه، والإيمان برسالته، وأنه لا ينطق عن الهوى، فكان ما يريد به الوجوب حقا على الرقاب لازما لا مراء فيه.

الوسائل البلاغية ودورها الحجاجي:

للأساليب البلاغية دور حجاجي مهم يتمثل في مقدرتها على تأدية المعنى ووصوله إلى الملتقي، لذا كانت من أهم الوسائل التي تنهض بها العملية الحجاجية، .. فلا تنحصر وظيفتها في الزخرفة وتنميق القول، بل ترتبط أكثر بوظيفتها الحجاجية المتمثلة في إقناع المتلقي؛ لأن لها من القوة الحجاجية ما لا يمكن أن تؤديه الأقوال المبنية على الحقيقة[2].

وإذا كان النبي ﷺ قد أوتي جوامع الكلم، فإن كل جملة من كلامه تأتي على وجه من وجوه البلاغة التي تأسر المتلقي، وتستحوذ على مشاعره، سواء كانت داخلة في أبواب البيان أو البديع أو كانت على أسلوب الحقيقة؛ ففيها ما يلزم المخاطب بالحجة، ويتعهده بالإقناع، ويخلبه بسحر البيان، وهذا هو مناط البلاغة ومعقلها، ولذلك يرى بعض الباحثين أن البلاغة هي: "فن الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ"[3]، ولهذا تتضافر الوسائل البلاغية– بقيمتها الجمالية المكتسبة والمؤثرة في مشاعر المتلقي– مع الوسائل اللغوية

---

(١) الحجاج في البلاغة المعاصرة، محمد سالم الطلبة: ١١٦.

(٢) ينظر: آليات الحجاج في المناظرات النحوية، وهيبة مسعد: ٣٨، ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي– الجزائر ٢٠١٤–٢٠١٥م.

(٣) الحجاج في البلاغة المعاصرة: ١٧٥.

والوسائل المنطقية فيتمكن المتكلم من تحقيق غايته من الخطاب، وهي إقناع المتلقي، ومن ثم توجيهه الوجهة التي يريدها(١).

وفي حوار النبي ﷺ مع الأنصار تشبيهان لافتان، جاءا في المرحلة الأخيرة من القصة والعملية الحجاجية، وهما في قوله: "**الأنصار شعار، والناس دثار**"(٢)، في التشبيه الأول شبه الأنصار بالشعار، وفي الثاني شبه الناس بالدثار، وكتب اللغة تقول: الشِّعَارُ بالكسر مَا وَلِيَ شَعَرَ جَسَدِ الإنسان دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الثِّيَابِ، وَالْجَمْعُ أَشْعِرَةٌ وشُعُرٌ، وَالدِّثَارُ: الثَّوْبُ الَّذِي فَوْقَ الشِّعَارِ(٣)، أو هو ما يَتَدَثَّرُ به الإنسانُ ويُلقيه عليه من كساء أو غيره فوق الشعار(٤)، والتشبيهان بليغان محذوفا الوجه والأداة، دل الأول منهما: "**الأنصار شِعار**" على أن الأنصار أقرب للنبي ﷺ من غيرهم، فهم بطانته وخاصته، وألصق بنفسه وقلبه، فلما حذف وجه الشبه والأداة صار المشبه والمشبه به كالشيء الواحد، وفي هذا ما فيه من زيادة الدلالة على اتحاد المشبه والمشبه به(٥)، لأن ذكر الأداة يفيد ضعف الشبه بين الطرفين، وذكر وجه الشبه يفيد حصر التشبيه في شيء واحد، فهذا تشبيه قوي الدلالة على مكانة الأنصار عند النبي ﷺ وتميزهم عن جميع المسلمين، حتى عن المهاجرين أنفسهم؛ فهم أقرب إليه مكانة ومكانا، إذ هم كاللباس الذي يلي الجسد، وغيرهم من المسلمين كالشعار من دونه.

ويأتي التشبيه الثاني: "**والناس دثار**" تأكيدا لمعنى التشبيه الأول، فهو أيضا تشبيه محذوف الوجه والأداة، لكنه لا يقصد به اتحاد المشبه والمشبه به،

---

(١) ينظر: الخطاب الحجاجي بين الإمام علي ومعاوية: ٨٧.

(٢) صحيح البخاري: ١٥٧/٥.

(٣) لسان العرب (شعر).

(٤) ينظر: المصباح المنير للفيومي: ١٨٩/١ (دثر)، المكتبة العلمية – بيروت (د. ت).

(٥) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: علم البيان والبديع، د. فضل حسن عباس: ٥٨، دار الفرقان– عمّان، الطبعة الحادية عشرة ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م.

بقدر ما يقصد به تأكيد التشبيه الأول، والناس في هذا التشبيه يراد بهم المهاجرون أو كل من سوى الأنصار من المسلمين، فالدلالة فيه ظاهرة على أن منزلة جميع المسلمين تالية لمنزلة الأنصار، فبين جملتي التشبيهين تقابل يوضح المعنى ويؤكده، وليس في التشبيه الثاني حط من مكانة المسلمين أو تقليل من شأنهم، بل فيه مدح وتشريف لهم أيضا، لأن النبي ﷺ جعلهم دثارا له، والدثار حماية فكذلك المسلمون.

وقد أخذ "حسان بن ثابت" ﷺ هذا المعنى من خطاب رسول الله ﷺ فقال:[1] (الكامل)

مُسْتَشْعِرٍ لِلْكُفْرِ دونَ ثِيابِهِ والكفرُ ليسَ بطاهرِ الأثوابِ

فجعل الكفر لباسا للمشكك المرتاب– الذي وصفه في بيت سابق– وصفة ملازمة له كملازمة الشعار للجسد.

ومن الوسائل الحجاجية التي تؤدي دورا تداوليا مهما في الخطاب: الكناية، ولا تقتصر أهميتها الحجاجية على التأكيد والمبالغة في تصوير المعنى فحسب، بل إنها توظف أيضا بقصد التعمية والتعبير عن المعنى القبيح باللفظ الحسن والترغيب والترهيب وما إلى ذلك، ولكن التأكيد وإيراد المعنى مشفوعا بالدليل هو أهم غاياتها، يقول الإمام "عبد القاهر الجرجاني": "أما الكنايةُ فإن السَّببَ في أنْ كانَ للإثباتِ بها مزيّةٌ لا تكونُ للتَّصريح أنَّ كُلَّ عاقِلٍ يعلم– إذا رجعَ إلى نفسهِ– أنَّ إثباتَ الصّفةِ بإثباتِ دَليلها، وإيجابَها بما هو شاهدٌ في وجودِها آكدُ وأبلغُ في الدَّعوى من أن تجيءَ إليها فتُثبتَها ساذجاً غُفْلاً، وذلك أنّك لا تدَّعي شاهدَ الصَّفة ودليلَها إلاَّ والأمرُ ظاهرٌ معروفٌ وبحيثُ لا يُشكُّ فيه ولا يُظَنُّ بالمخبِر التجوّزُ والغلط"[2]، وحيثما كان الأمر كذلك فقد وظف الأنصار الكناية توظيفا حجاجيا لتأكيد كلامهم حتى لا يُظن بهم تَجَوُّزٌ أو

(١) ديوان حسان بن ثابت: ٢٣.

(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٧٠.

غلط فقالوا: "يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشا ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم"(١)، فقولهم: "وسيوفنا تقطر من دمائهم" استخدام للكناية في الخطاب الحجاجي لتأكيد الحجة وتقديمها مشفوعة بدليلها، وهي أن الأنصار هم مَن صنعوا النصر في غزوة حنين، وأن أعداء الأمس هم الذين يرجعون بالغنائم والأموال، والدليل الكنائي هنا تقاطر الدماء من سيوف الأنصار، وهي لا تقطر من دماء الأعداء عامة، بل (تقطر من دمائهم) أي دماء قريش الذين كانوا يحاربون الإسلام، فضمير الجمع الغائب كان وجوده سببا في زيادة العجب والاستنكار، فكأنهم قالوا: كيف تُعطَى الغنائم لأعدائنا الذين أثخناهم جرحا وتقتيلا؛ فهذا خطاب حجاجي فيه اعتراض قوي واستغراب لموقف الرسول ﷺ، وقد زاد من دهشة الأنصار وقوة حجتهم خفاءُ الحكمة التي قصدها النبي ﷺ من إعطاء الغنيمة المهاجرين والطلقاء تأليفا لقلوبهم(٢)؛ لأنهم كما بين رسول الله ﷺ حديثو عهد بكفر.

وهذه الحجة الكنائية القوية، وهذا الحق الذي كان عليه الأنصار في التعجب من قسمة الغنيمة وفي طلبها، كانت السبب الرئيس في سرعة تحرك النبي ﷺ، وتوجيهه بجمع الأنصار قاطبة في قبة من أدم، ومن ثم خطبتُه فيهم بيانا للأمر ومحاججتُه الأنصارَ بأن كل هذه الغنائم ما هي إلا لعاعة من الدنيا فانية لا وزن لها.

ومن الكنايات التي جاءت في خطاب الأنصار قولهم حين واجههم النبي ﷺ بالسؤال عما قالوه: "أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئا، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا ..."، فالخطاب في هذا السياق يحمل إحساسا بالخجل مما قيل أمام رسول الله ﷺ، فجاءت الكناية في قول الأنصار: "حديثة أسنانهم"، لتؤكد الاعتذار عما بدر من شباب الأنصار؛ فحداثة الأسنان كناية

(١) صحيح البخاري: ٤/٩٤.

(٢) صحيح البخاري: ٥/١٥٨.

عن صغر السن الذي هو مظنة الاندفاع في الرأي، والعجلة في الحكم، وإعمال العاطفة أكثر من العقل، ولذا جاءت هذه الكناية حجة لهم يحتمون بها من لوم النبي وعتابه على ما كان منهم، فهي أيضا حجة مقرونة بالدليل الذي يقدمه المحاجج تأكيدا لكلامه؛ فإن حداثة الأسنان دليل قاطع على ضعف الرأي والعجلة فيه، ومما يدعم الحجة ويؤكدها في هذا الأسلوب أن الدليل الذي تحمله الكناية يحتمل وقوعه في الحقيقة؛ فليست هناك قرينة تمنع وجوده؛ ولذلك يرى ابن الأثير في حد الكناية: "أنها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز، بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز"(١)، وهذا ما يجعل للكناية دورا حجاجيا مهما إضافة إلى ما توفره من جمالية الأسلوب التي تحرك شعور المتلقي، وتؤثر في وِجدانه؛ فيتمثل الدور الحجاجي للكناية في تقريبها للمعنى البعيد، وإظهاره في أجمل صورة تستقطب النفوس وتحرك الشعور، إلى جانب تجسيد المعنويات في صورة محسوسات، يتفاعل معها المتلقي ويستجيب لها.

ومما زاد من حجاجية الخطاب في كلام الأنصار في هذا المثال الأخير أنه قام على التقسيم المقصودِ به ما أورده "أبو هلال العسكري" في "كتاب الصناعتين": "أن تقسّم الكلام قسمة مستوية تحتوى على جميع أنواعه، ولا يخرج منها جنس من أجناسه"(٢)، فالكلام هنا قام على قسمة صحيحة- على حد قول أبي هلال العسكري- فالأنصار ما بين هذين الصنفين: الرؤساء/ الشيوخ، وحديثي الأسنان/ الشباب، باستخدام كلمة (أما) وهي أداة ربط وتفصيل، ربطت بين الجملتين وقسمت الأنصار قسمين لا ثالث لهما، فجاء الكلام قويا مرتبا مفصلا، يدل على ثقة المتكلم في كلامه، وصدقه في طرحه.

---

(١) المثل السائر لابن الأثير: ١٨٢/٢.

(٢) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري: ٣٤١، تحقيق/علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية بيروت ١٤١٩هـ.

أما المحسنات البديعية فكانت أوضح ظهورا في الخطاب الحجاجي للنبي ﷺ في حوار الأنصار، ومن ألوانها: السجع، وهذه الوسيلة الحجاجية ترتبط بالجانب الموسيقي للخطاب، ومنه قول النبي ﷺ:"**الأنصار شعار، والناس دثار**"، وقوله: "**فوالّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهمّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ**"(١).

فالفاصلة في هذا الخطاب النبوي معقودة على حرف الراء الأخيرة من كلمة الأنصار، وهذا ما أعطى الكلام رونقا إيقاعيا، وأضفى عليه جمالية موسيقية، أسهمت في جذب المتلقي/ الأنصار، واستنفار طاقته الشعورية، وأدت إلى تلذذه الوجداني بجمال الإيقاع المنبعث من تكرار الحرف، وكل ذلك يصب في خدمة المعنى؛ فالسجع ليس مكروها في الكلام بشرط أن يكون غير متكلف خادما للمعنى، يقول "ابن سنان الخفاجي": "والمذهب الصحيح أن السجع محمود إذا وقع سهلاً متيسراً بلا كلفة ولا مشقة، وبحيث يظهر أنه لم يُقصد في نفسه ولا أحضره إلا صدقُ معناه دون موافقة لفظه .."(٢)، وهذا شأن المحسنات البديعية جميعها؛ فليست وظيفتها شكلية فحسب، بل إن لها دورا معنويا حجاجيا لا يرتبط بزخرفة الخطاب الحجاجي، ولكن بهدف الإقناع، والبلوغ به إلى التأثير في المتلقي وصولا إلى التسليم والإذعان.

وتزداد جمالية الخطاب الحجاجي في كلام النبي السابق بدخول التَّكرار فيه؛ ففي المثال الأخير تكررت كلمة الأنصار ست مرات، وهو دليل على تمام إدراك النبي ﷺ لأهمية التكرار وفائدته في الكلام؛ فقد اختار هذه الكلمة تحديدا ليكررها إعلانا عن حبه، فكأنه يتلذذ بذكر الأنصار، ويرسل إليهم

---

(١) صحيح البخاري: ١٥٧/٥.

(٢) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي: ١٧١، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

رسالة مؤكدة لحبه ومكانتهم السامية؛ فجاء التكرار بدور تداولي مهم في هذا الخطاب الحجاجي مما كان له أبعد الأثر في التأثير على المتلقي وتطويقه شعوريا وعاطفيا.

ويقوم الجناس والطباق كذلك بدور مهم في الوصول إلى مرحلة الإقناع والغاية من الحجاج في قول النبي ﷺ: "**واللهِ لَوْ شِئتُم لقُلْتُم فصَدَقْتُم وصُدِّقْتُم: جئتَنَا طَرِيداً فَآوَيْناك، وعائلا فآسَيْناك، وخائفاً فأَمَّنّاك، ومَخْذُولاً فَنَصَرْنَاك**"(١).

فالجناس بين صدقتم وصُدِّقتُم فيه اعتراف بصدق حجة الطرف الآخر، وهو ما يؤكد وفاء النبي ﷺ وإنصافه وحسن معاشرته.

أما الطباق فتبرز أهميته أيضا في أنه يعد تمثيلا لدور الأنصار في الحوار؛ فقد أخذ النبي ﷺ مكانهم، وتكلم بلسانهم، وكأنه يحاور نفسه بحججهم التي رأى أنها تدور في عقولهم، ويتحرجون من الإفصاح عنها، ويعبر الشكل التالي عن دور الطباق في تمثيل فضائل الأنصار، وعرض حججهم عرضا دقيقا مفصلا:

النبي ﷺ قبل ملاقاة الأنصار ـــــــــــــــ بعد ملاقاة الأنصار

↓ ↓

الطرد ـــــــــــــــ الإيواء

العَيْلة ـــــــــــــــ المواساة

الخوف ـــــــــــــــ التأمين

الخِذلان ـــــــــــــــ النصر

وكل فعل من الإيواء والمواساة والتأمين والنصر يقوم مقام حجة للأنصار؛ فقد استقصى النبي ﷺ كل الحجج التي يمكن أن تكون قد وقعت في قلوب الأنصار، ويُظهر ما قدموه له من معروف وعون في سبيل نصرته بصورة

---

(١) البداية والنهاية ٤/٤١١

واضحة وقوية عن طريق الطباق، من خلال استخدام طريقة تزاوج المتكلم، وهو ما سيأتي بيانه فيما بعد(١).

ولكنه ﷺ مع هذا الاعتراف بالفضل يبين للأنصار أن ما أصبحوا فيه من خير بعد الإسلام يرجع إلى وجوده بينهم ورسالته فيهم؛ فلولا النبي ﷺ ما تحقق لهم كل هذا الخير، حيث قال لهم: "**أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**"، فوظف أسلوب الطباق في الخطاب الحجاجي ليقابل بين حال الأنصار قبل الإسلام وبعده، وكأنه يقابل ما احتج به لهم بذلك، كما يوضح الشكل التالي:

صفات الأنصار قبل الإسلام:

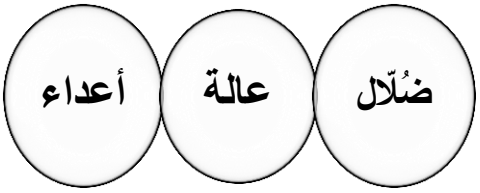

صفات الأنصار بعد الإسلام:

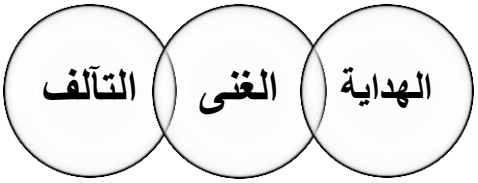

فالطباق كما هو واضح وسيلة حجاجية تقوم على أساس الجمع بين الشيء وضده لإقناع المتلقي بالفكرة، وتثبيت الرسالة الحجاجية في نفسه وتأكيدها، وإغلاق باب الإنكار الذي قد يلجأ إليه المخاطَب.

وبصفة عامة فإن للأشكال والأساليب البلاغية المختلفة من تشبيه وكناية ومحسنات بديعية أهميةً حجاجية في الخطاب وتأكيد الرسالة الحجاجية وإقناع المتلقي، بحيث تصير الرسالة التي يحتوي عليها الخطاب ذات شأن في نفسه،

(١) ينظر: الإستراتيجية الإقناعية من هذا البحث.

لا ينكرها، بل يقتنع بها وتنفعل بها نفسه، وهذه كما جاء سابقا غاية الخطاب الحجاجي، وغاية الأساليب البلاغية أي: "الإبلاغ المفهم المؤثر، إفهاما وتأثيرا من شأنهما تحقيق الإقناع والاستمالة"(١)، وهذه الغاية تؤدي إلى غاية كبرى تتمثل في تضييق شقة الخلاف بين المحاورين والمتخاطبين أو إلغائها(٢).

(١) البلاغة والاتصال، د. جميل عبد المجيد: ١٢٩، دار غريب، القاهرة ٢٠٠٠م.
(٢) الحجاج في البلاغة المعاصرة، محمد سالم الطلبة: ١٣٦.

المبحث الثالث: إستراتيجيات الخطاب في حوار النبي مع الأنصار

يقوم الخطاب الحجاجي على مجموعة من الإستراتيجيات المختلفة التي ترسم صورة العلاقة بين المتكلم والمخاطب، وتحدد أيضا مستوى الخطاب الذي أنتج العلاقة بينهما، أو أسهم في تأسيسها بناء على معطيات اللغة، وتوضح الخطة التي اتبعها المتكلم أثناء التخاطب مستغلا الإمكانات اللغوية وغير اللغوية، وهذه الإستراتيجيات تتنوع بِناء على أحوال المتلقي والظروف والأحوال المحيطة بالخطاب، ولكن هناك عاملان أساسيان يؤثران على المرسل في اختيار إستراتيجية خطابه، وهما:

- العلاقة السابقة بينه وبين المرسل إليه التي قد تتدرج من الحميمية إلى الانعدام التام، ويسعى المرسل في هذه الحالة إلى تعويضها من خلال إيجادها بالخطاب.
- السلطة، فقد يمتلكها أحد طرفي الخطاب على الطرف الآخر، عندما يعلو الآخر درجة، وقد لا يمتلكها أي منهما عندما تتساوى درجاتهما، أو عندما لا يربطهما أي علاقة.

ومن أنواع الإستراتيجيات المستخدمة في حوار النبي ﷺ مع الأنصار عقب غزوة حنين: الإستراتيجية التوجيهية والإستراتيجية التضامنية والإستراتيجية التقويمية.

أولا: الإستراتيجية التضامنية:

بالنظر إلى وظيفة اللغة يتبين أنها ذات أثر فاعل في التواصل الاجتماعي بين الأفراد، وفي إقامة العلاقات بين الناس، وأنها ليست وسيلة لنقل العلوم والأخبار فحسب؛ فالوظيفة الاجتماعية من أهم وظائف اللغة في الاستعمال، "ومن أوضح ما يمثل هذا الجانب من الاستعمال اللغوي أن قدرا كبيرا من المعاملات اليومية بين الناس إنما يقوم على اللغة بوصفها بالدرجة الأولى أداة اتصال بين الأفراد، أكثر من قيامه على اللغة بوصفها أداة تعامل، فحين يلتقي غريبان مثلا عند محطة الحافلة في يوم ريح قارس ويلتفت أحدهما

للآخر قائلا: يا إلهي، الجو بارد، يكون من الصعب أن نفترض أن نية المتكلم الأولى هنا كانت لنقل المعلومات، ولعله من الأقرب إلى المعقول أن نقترح أن المتكلم يشير بعبارته تلك إلى استعداده لأن يكون لطيفا، وأن يدخل في حديث مع المخاطب .."(١).

والإستراتيجية التضامنية إحدى الإستراتيجيات التخاطبية التي تهدف إلى الحفاظ على العلاقة بين المرسل والمستقبل، "وتتجسد الإستراتيجية التضامنية من خلال علامات لغوية معينة، تشير إلى رغبة المرسل في التضامن مع المرسل إليه، مما يجعله يستنتج أن المرسل قدم تنازلا عن سلطته التي يتمتع بها"(٢).

وبالعودة إلى نص حوار النبي مع الأنصار يتضح أنه ﷺ استخدم هذه الإستراتيجية في خطابه الذي وجهه إليهم؛ حيث يتبين أنه كان حريصا كل الحرص على صفاء العلاقة بينه وبين الأنصار، وأنه قد تنازل عن سلطته التي كان يمكن أن يفرض بها رأيه على الأنصار، وينفرد باتخاذ القرار على أساس أنه صاحب السلطة العلى، أو الطرف الأقوى والأنصار الطرف الأدنى، والسلطة هنا هي سلطة النبوة أو سلطة قيادة الدولة أو الهيبة التي كانت تجلل النبي ﷺ، فلها وجوه متعددة، وهي متحققة في شخص النبي ﷺ متاح له أن يلبس ثوبها دون أن ينازعه فيه أحد، لكنه اختار هذه الإستراتيجية التضامنية التي ظهرت في حواره في أكثر من موضع، وأفضل مثال على ذلك قوله: "**أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم**"، وفي رواية أخرى: "**يا معشر الأنصار ألا**

---

(١) تحليل الخطاب، ج.ب. براون، و ج. يول: ٣، ٤، ترجمة د. محمد لطفي الزليطني، ود. منير التريكي، النشر العلمي والمطابع– جامعة الملك سعود ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

(٢) إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي ظافر الشهري: ٢٥٦، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى بيوتكم ؟"

فطلب الرضا من الأنصار هو أسلوب تضامني، واستخدام لفظ الرضا من الألفاظ التضامنية أيضا التي تستخدم في السياقات ذات العلاقة القوية، وكذلك كلمة الأنصار، وغيرها من أنواع الجمل ذات البعد التضامني، والأداء التنغيمي الخاص في هذا السياق، ولذلك حينما يختار المتكلم الإستراتيجية التضامنية في الخطاب الحجاجي فإن هذا الخطاب يعمل على تحقيق غايات أخلاقية تظهر في الخطاب وبعده باعتبارها ثمرة من ثمراته، وقد لخصها "عبد الهادي ظافر" في عدة عناصر أهمها:(١)

- تأسيس الصداقة بين طرفي الخطاب، أو العمل على تمرير العلاقة بين طرفين لهما علاقة دائمة.
- التركيز على حسن التعامل مع صاحب السلطة، بطريقة تحقق الأهداف وتنقل المقاصد وتؤسس العلاقات الطيبة معه، أو تبقي عليها.
- تفعيل التضامن في حياة الناس بما ينعكس على التفاعل الخِطابي، وتطوير حقهم في ممارسة الحياة بحرية، مع تقليص دور السلطة.
- كسب ولاء الآخرين بالتودد والتقرب إليهم عن طريق إلغاء المسافة الفاصلة بينهم وبين المرسل أثناء الخطاب.

فالنبي ﷺ كان متضامنا مع الأنصار في حواره معهم تضامنا لافتا، يدل على تفهمه لقوة حجتهم، ومعرفته أنهم على حق في غضبهم وموقفهم من توزيع الغنائم، حتى تكلم على لسانهم، فقال لهم: "**واللهِ لَوْ شِئتُم لقُلْتُم فصَدَقْتُم وصُدِّقْتُم: جئتَنا طَرِيداً فآوَيْناك، وعائلا فآسَيْناك، وخائفاً فأَمَّنّاك، ومَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ**"(٢)، وهو ما يسمى في النظرية الحجاجية بازدواج التكلم؛ فحينما يبلغ

(١) ينظر: إستراتيجيات الخطاب: ٢٦١.

(٢) البداية والنهاية ٤/٤١١

التقاصد غايته من نفس المتكلم، فإن المتكلم قد يتكلم كما لو كان المستمع يشاركه كلامه مشاركة، بل كما لو كان المستمع هو الذي يتكلم، أو إذا جاز لنا هذا التعبير كما لو كان المتكلم يحمل لسان المستمع في فيه(١).

ولذلك كانت هذه الإستراتيجية أبرز إستراتيجيات الخطاب تفعيلا في كلام النبي ﷺ، وكان القصد منها كسب قلوبهم، والقضاء على حالة الغضب التي أصابتهم، ومن ثم تحققت نتيجة الخطاب التضامني التي أرادها النبي ﷺ من خطابه، حيث جاءت الروايات دالة على ذلك: "فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا بالله ربّا، ورسوله قَسْما، ثم انصرف وتفرقوا(٢).

والأنصار أيضا وهم المرسل إليه هنا كانت الإستراتيجية التضامنية هي الغالبة في كلامهم؛ فإنهم أجابوا النبي ﷺ بقولهم: "يَا رَسُولَ اللهِ، وَجَدْتَنَا فِي ظُلْمَةٍ فَأَخْرَجَنَا اللهُ بِكَ إِلَى النُّورِ، وَوَجَدْتَنَا عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَنَا اللهُ بِكَ، وَوَجَدْتَنَا ضُلَّالًا فَهَدَانَا اللهُ بِكَ، فَرَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، فَاصْنَعْ يَا رَسُولَ اللهِ مَا شِئْتَ فِي أَوْسَعِ الْحِلِّ"(٣)

فالجمل: أخرجنا الله بك– أنقذنا الله بك– هدانا الله بك– رضينا بالله ربا ..، كلها جمل ذات طابع تضامني ينم عن حرص الأنصار على علاقتهم الوثقى برسول الله ﷺ، ولم يكن استخدام الإستراتيجية التضامنية واجبا على الأنصار في هذا السياق، وهم الطرف الذي جاء معلنا اعتراضه على أمر ما، ولهذا كان خطابهم مفاجأة للنبي ﷺ فقال لهم: "**أَمَا وَاللهِ لَوْ أَجَبْتُمُونِي بِغَيْرِ هَذَا الْقَوْلِ، لَقُلْتُ: صَدَقْتُمْ، لَوْ قُلْتُمْ: أَلَمْ تَأْتِنَا طَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ** .."(٤)، فلو قالوا

---

(١) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن: ٢٦٦، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

(٢) البداية والنهاية ٤/٤١١

(٣) المعجم الكبير للطبراني: ٧/١٥١، تحقيق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية– القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ– ١٩٨٣م.

(٤) المعجم الكبير للطبراني: ٧/١٥١.

غير ذلك مستخدمين أسلوب العتاب لصدّقهم النبي ﷺ، لكن الأنصار حينما قابلوه ﷺ لم يواجهوه بغير هذا الكلام التضامني الرقيق الذي دل على الاحترام والتبجيل وإظهار صفاء النفس، ونقاء الضمير، والحرص على علاقتهم بنبيهم ﷺ صافية لا يكدرها شيء.

ومن خلال هذا الحوار التخاطبي بين الطرفين الذي غلبت عليه الإستراتيجية التضامنية يتبين مدى حرص كل طرف على الآخر، حيث جاءت اللغة محملة بالأسماء والأفعال والضمائر وعبارات التودد التي جسدت خطاب التضامن النفسي والاجتماعي بين الطرفين، مما يدل على خضوع الكلام لمبدأ تداولي مهم وهو مبدأ التأدب الذي يقضي "بأن يلتزم المتكلم والمخاطب في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام من ضوابط التهذيب ما لا يقل عما يلتزمان به من ضوابط التبليغ"(١).

ثانيا: الإستراتيجية التوجيهية:

لا يخضع الخطاب الحجاجي الذي يهدف إلى توجيه المرسَل إليه بالإنكار أو التحذير أو الإغراء أو النصح أو غير ذلك، لا يخضع للأسلوب التضامني أو الخطابات المرنة التي تمنح الأولوية لمبدأ التهذيب وعوامل التخلق، لأسباب كثيرة منها ما يتعلق بأولوية التوجيه على التأدُّب في خطابات النصح والتحذير وغيرها، فالمرسل يولي عنايته فيها لتبليغ قصده وتبليغ هدفه الخطابي بإغفال جانب التأدب التعاملي الجزئي في الخطاب(٢).

"يمكننا تعريف الإستراتيجية التوجيهية بأنها الإستراتيجية التي يرغب المرسل بها تقديم توجيهات ونصائح وأوامر ونواه يفترض أنها لصالح المخاطب أو المرسل إليه، ولا يعد التوجيه هنا فعلا لغويا فحسب، وإنما يعد

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن: ٢٤٠.

(٢) ينظر: إستراتيجيات الخطاب: ٣٢٢.

وظيفة من وظائف اللغة"[١]، فاللغة هي المعبر عن توجهات المرسل ومبادئه ومدى تأثيرها في المرسل إليه وفي سلوكه[٢].

ويسمي "جاكبسون" وظيفة التوجيه في اللغة بالوظيفة الإيعازية أو الندائية، وكذلك يوضح "روبول" بأنه: "يمكن أن نتحدث لنجعل شخصا آخر يتصرف، كما في حالة الأمر والنصيحة أو الرجاء أو الرفض أو المنع .. إلخ"[٣].

وهناك مسوغات تداولية لاستخدام الإستراتيجية التخاطبية تتمثل في:[٤]

- الطابع الرسمي في العلاقات التواصلية.
- الشعور بالتفاوت الفكري أو الاعتبار الاجتماعي أو الطبقي.
- الحفاظ على التراتبية التي تضمن استمرار الاحترام والتوقير.
- إصرار المرسل على تنفيذ قصده عند إنجاز الفعل.

وتتبدى الإستراتيجية التوجيهية في حوار النبي ﷺ مع "سعد بن عبادة" ﷺ في قوله له: "**فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، فإذا اجتمعوا فأعلمني**"[٥]، فالخطاب هنا خطاب توجيهي باستخدام أسلوب الأمر مرتين: اجمع- أعلمني، وإذا اجتمعت صيغة الأمر مع سلطة المرسل/ الآمر وهو النبي ﷺ دل ذلك على أن الأمر للوجوب ".. فليست المسألة لغوية بحتة، بل لغوية تداولية، إذ ليس الوضع اللغوي هو المعيار الأوحد، بل لا بد أن تعضده مرتبة المرسل؛ لأنها هي التي تحول دلالة

---

(١) الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، د. إدريس مقبول، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد الثامن، العدد (٢/١٥): ص ٥٤٩.

(٢) تداولية أدب الخطاب وإستراتيجياته في سورة غافر، هاجر أحمد المومني: ١٤٣، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك ٢٠١٤- ٢٠١٥م.

(٣) ينظر: إستراتيجيات الخطاب: ٣٢٤.

(٤) ينظر: الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية: ٥٤٩.

(٥) البداية والنهاية: ٤/٤١١.

الصياغة من الأمر إلى غير ذلك"[١]، فالأمر يدل على الطلب وتوجيه المتلقي، وتستعمل هذه الإستراتيجية حينما تكون هناك تعليمات مهمة يريد المرسل حدوثها من المرسل إليه، ولا شك أن اعتراض الأنصار على طريقة توزيع الغنائم أمر جلل يستدعي التوجيه الحاسم دون إبطاء، فكان خطابه وحواره مع "سعد بن عبادة" بأسلوب الأمر التوجيهي طريقا مختصرة وفورية أكدت الطابع الرسمي للخطاب وعلو مرتبة النبي ﷺ في هذا الموقف التي برزت من خلال الإستراتيجية التوجيهية، ولما جمعهم في قبة قال: "**فيكم أحد من غيركم؟**" قالوا: لا، إلا أبن اختنا، قال: "**ابن اخت القوم منهم**"[٢]، وهو أيضا بيان نبوي توجيهي يظهر أن النبي ﷺ أراد حصر المشكلة، وعدم إدخال أطراف أخرى خارجية حتى لا تتسبب في تأجج المشكلة وتفاقم الأزمة.

ومن شواهد الإستراتيجية التوجيهية في حوار النبي ﷺ أيضا قوله للأنصار بعد أن استرضاهم في نهاية حديثه معهم: "**إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**"[٣].

فالنبي ﷺ هنا يستخدم سلطته العلمية والتربوية فيوجه أصحابه، ويحذرهم مما سيكون لهم ويتعرضون له من مواقف مشابهة يُؤثَر فيها غيرُهم عليهم، فيأمرهم بالصبر على ذلك أمرا إلزاميا؛ لأنه نابع من معرفة بحقيقة الأمور التي سوف تحدث بناء على السلطة العلمية والمكانة المعرفية للنبي ﷺ، ولهذا يخلو الكلام من الملاطفة أو التضامنية كما في الإستراتيجية السابقة، ولكن يتضمن وعدا بالنجاة يوم القيامة بناء على الالتزام بمقتضيات هذا الفعل الكلامي؛ فالتوجيه في هذا السياق يعد هدفا يجب تبليغه للحصول على المقاصد منه، فلا يحتاج المرسل حينئذ إلى ملاطفة المرسل إليه، لأن لديه مقصدا يريد تحقيقه[٤].

ومن أمثلة الإستراتيجية التوجيهية أيضا ما جاء في رواية للإمام أحمد

---

(١) إستراتيجيات الخطاب: ٣٤٢.

(٢) البداية والنهاية: ٤/٤١٠.

(٣) صحيح البخاري: ٥/١٥٧، والبداية والنهاية: ٤/٤١١.

(٤) ينظر: تداولية أدب الخطاب وإستراتيجياته في سورة غافر: ١٤٦.

عن قسمة غنائم حنين، عن "عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ"ﷺ أنه قال: "أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ فَوَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُعْطِي النَّاسَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ قَدْ رَأَيْتَ مَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْيَوْمِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ: **أَجَلْ، فَكَيْفَ رَأَيْتَ؟** قَالَ: لَمْ أَرَكَ عَدَلْتَ، قَالَ: فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ- ثُمَّ قَالَ: **وَيْحَكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ الْعَدْلُ عِنْدِي فَعِنْدَ مَنْ يَكُونُ؟** فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَقْتُلُهُ؟ قَالَ: **لَا، دَعُوهُ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شِيعَةٌ يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهُ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ فِي النَّصْلِ**(١) **فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ فِي الْقِدْحِ**(٢) **فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ فِي الْفُوقِ**(٣) **فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ سَبَقَ**(٤) **الْفَرْثَ وَالدَّمَ**"(٥)، ففي هذا الموقف الحواري يستخدم النبي ﷺ أسلوب التوجيه، ويأتي كلامه محملا بغايات ومقاصد توجيهية، فيها تعليم وبيان لعمر ﷺ ولغيره من المسلمين بأن هذا الرجل لن يكون آخرَ من يجترئ على ولي الأمر؛ بل ستكون له شيعة يتبعونه في هذا السلوك بدعوى أنهم أهل الحق والصواب، وأنهم أكثر تعمقا في الدين وفهما له من غيرهم، فيكون اجتراؤهم هذا سببا في خروجهم عن جماعة المسلمين وخروجهم من الدين، فالمقام ليس مقامَ موادعة أو ملاطفة، لذا يتسم أسلوب النبي ﷺ فيه بالقوة والوضوح والبيان المفصل الدقيق، لأنه يحذر أصحابه وأمته من هؤلاء الذين يلبسون مسوح

---

(١) النَّصْلُ: حديدةُ السَّهْمِ والرمحِ. لسان العرب (نصل).

(٢) القِدْحُ: العُودُ إذا بَلَغَ فَشُذِّبَ عَنْهُ الغُصْنُ وقُطِعَ عَلَى مِقْدَارِ النَّبْل الَّذِي يُرَادُ مِنَ الطُّول والقِصَر؛ وهو قِدْحُ السَّهْمِ، وَجَمْعُهُ قِداح، وَصَانِعُهُ قَدَّاحٌ. لسان العرب (قدح).

(٣) الفُوق: مَوْضِعُ الوَتَر مِنْ السَّهْمِ أو مَشَقُّ رَأْسِ السَّهْمِ حَيْثُ يَقَعُ الوَتَر. لسان العرب (فوق).

(٤) الضمير يعود على السهم.

(٥) مسند الإمام أحمد: ٦١٣/١١، والحديث في صحيح البخاري، بيد أنه لم يذكر فيه أنه كان في غزوة حنين، بل جاء فيه عن أبي سعيد الخدري أنه قال: بيْنَما نَحْنُ عِنْدَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يَقْسِمُ قَسْمًا... (صحيح البخاري: ٢٠٠/٤).

الدين، ويتشبهون بأهله، ولكنهم أقرب للكفر منهم إلى الإيمان لتكفيرهم غيرهم، واعتراضهم على حكم الله ورسوله، وتعمقهم أي تنطعهم في الدين وغلوهم فيه، فهم قوم دخلوا في الدين وخرجوا منه دون أن يكون لهم منه أدنى نصيب؛ فلم يعلق منه شيء في قلوبهم، كالسهم الذي اخترق الرمية (الصيد) ومر من الناحية الأخرى ولم يعلق في أي جزء من أجزائه شيء منها[١]، وفي "صحيح البخاري" زيادة في أوصافهم: "**يحقر أحدكُم صلاتَه مع صلاتهم، وصيامَه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيَّهم**"[٢]، فهذا كله أسلوب توجيهي استخدم فيه النبي ﷺ أسلوب النهي حينما نهى عمر ﷺ عن قتل ذي الخويصرة لأن مصلحة الإسلام تقتضي تأليف القلوب، واستخدم الأسلوب الخبري في بيان أوصاف الخوارج، ووظف التشبيه توظيفا دقيقا في بيان سرعة خروجهم من الدين، وانسلاخهم من قيمه وأخلاقه انسلاخا كاملا بلا بقية فيهم من خير.

فالإستراتيجية التوجيهية تغلب على الكلام في السياقات الجادة والمقامات التي تستدعي الكلام العقلي أكثر من الكلام العاطفي، ويتنوع شكل الخطاب من حيث البلاغة تبعا لذلك، مما يدل على أن البلاغة العربية بلاغة منتجة للمعنى، ملائمة لقصد المتكلم، قادرة على التفاعل مع المقام والمستويات الانفعالية والعقلية للمخاطب.

ثالثا: الإستراتيجية الإقناعية:

ترتبط الإستراتيجية الإقناعية بمعيار الهدف من الخطاب، وهو من أهم المعايير البلاغية؛ حيث إن إقناع المرسل إليه من أهم الأهداف التي يرمي المرسل إلى تحقيقها من خلال خطابه، "وتستعمل إستراتيجية الإقناع من أجل تحقيق أهداف المرسل النفعية، بالرغم من تفاوتها تبعا لتفاوت مجالات الخطاب أو حقوله، فقد

---

(١) ينظر في شرح الحديث موقع الدرر السنية:
https://dorar.net/hadith/sharh/9760

(٢) صحيح البخاري: ٤/٢٠٠.

يستعملها التاجر لبيع بضاعته، وقد يستعملها المرشح لرئاسة الدولة أو المؤسسة لحمل الناخبين على انتخابه، وقد يمارسها الطفل مع أحد والديه من أجل الحصول على قطعة من الحلوى أو السماح له باللعب وهكذا"(١)، وهذه الإستراتيجية الحجاجية تظهر فيها العلاقة المنطقية بين أجزاء النص الحجاجي، فالحجاج في الأساس جنس خاص من الخطاب يبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا، قاصدا إلى إقناع الاخر بصدق دعواه، والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية(٢).

ولا تؤتي هذه الإستراتيجية ثمارها إلا إذا كانت قائمة على نوع من التفاعل بين المخاطِب والمخاطَب، أو المتكلم والمستمع، وهو التزاوج النفسي عند كل منهما، "والمقصود بتزاوج المتكلم هو الانشقاق الاعتباري لذات المتكلم إلى شقين أو قُل بالأحرى إلى ذاتين: إحداهما ظاهرة تستقل بمبادرة الادعاء، لأن المتكلم يجيء برأيه في صورة دعوى من عنده يدعيها بمحضر المستمع، والذات الثانية باطنة تشترك مع ذات المستمع في ممارسة الاعتراض، لأن المتكلم قد يتعاطى- ولو ذهنيا على الأقل- تصوُّرَ مَواطن النقد في الدعوى، وتقديرَ مختلف الأسئلة التي يوجهها المستمع إليها، والمقصود بتزاوج المستمع هو الانشقاق الاعتباري لذات المستمع إلى شقين أو قل بالأحرى إلى ذاتين إحداهما ظاهرة تستقل بمبادرة الاعتراض، لأن المستمع يجيء برأيه في صورة اعتراض من عنده ينتقد به الدعوى المعروضة عليه، والذات الثانية باطنة تشترك مع ذات المتكلم في ممارسة الادعاء، لأن المستمع قد يتعاطى- ولو ذهنيا على الأقل- تصور إمكانات الادعاء فيما يدور من كلام بمحضره، مستبقا بذلك ما يبادره به المتكلم من أقوال"(٣).

---

(١) إستراتيجيات الخطاب: ٤٤٥.

(٢) النص الحجاجي العربي: دراسة في وسائل الإقناع، محمد العبد، مجلة فصول: ص ٤٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٠، صيف- خريف ٢٠٠٢م.

(٣) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن: ٢٦٥.

وأرى أنه في هذه الإستراتيجية يتم توظيف جميع الوسائل الممكنة للوصول إلى هدف المخاطب من الخطاب، وهو إقناع المتلقي بأية وسيلة كانت، ولذا كان الإقناع غاية الحجاج، ومن ثم نجد أن النبي ﷺ في خطابه الحجاجي مع الأنصار ما ترك وسيلة من وسائل الإقناع إلا استخدمها، وبإمعان النظر في النص النبوي وحده يتبين ذلك بوضوح، وهذا نص رواية واحدة في البداية والنهاية: ".. حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له أتاه فقال: يا رسول الله، قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار حيث أمرتني أن أجمعهم، فخرج رسول الله ﷺ فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: "**يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟**" قالوا: بلى ثم قال رسول الله ﷺ "**ألا تجيبون يا معشر الأنصار؟**" قالوا: وما نقول يا رسول الله؟ وبماذا نجيبك؟ المن لله ولرسوله، قال: "**والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم جئتنا طريدا فآويناك، وعائلا فآسيناك، وخائفا فأمناك، ومخذولا فنصرناك**"، فقالوا: المن لله ولرسوله، فقال رسول ﷺ: "**أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما أسلموا، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟، فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار**"[1].

ويلخص الجدول الآتي تعاضد الأساليب المتنوعة في عملية الإقناع، وارتكاز الإستراتيجية الإقناعية على الوسائل المختلفة:

(١) البداية والنهاية: ٤/٤١١.

م	تصنيف	الأسلـــوب	نوعـــــه	وظيفتـه الإقناعيـة
١	أ	ألم آتكم ضلالا ...	استفهام تقريري	يبين فضل النبي ﷺ على الأنصار وما هم فيه من نعم.
٢		جئتنا طريدا فآويناك ...	ازدواج التكلم	التكلم نيابة عن الأنصار ببيان فضلهم على النبي ﷺ لتفريغ ما في نفوسهم.
٣		أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لعاعة...	استفهام إنكاري	لفت أنظار الأنصار إلى مطلب أسمى من المال.
٤	ب	تألفت بها قوما أسلموا.	إخبار توضيحي	التعليل والإقناع ببيان السبب.
٥		ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام.	إخبار توضيحي	وضع الأنصار في مواجهة مع أنفسهم وإقامة الحجة عليهم.
٦	ج	أفلا ترضون يا معشر الأنصار ...	استفهام تقريري	عرض وتحضيض لحمل الأنصار على الرضا بعطاء الآخرة دون عطاء الدنيا.
٧		فوالذي نفسي بيده لو أن الناس ..	قسم تضامني	تطييب خاطر الأنصار وتوضيح مكانتهم.
٨		اللهم ارحم الأنصار ...	دعاء تضامني	تطييب خاطر الأنصار وتهدئة نفوسهم.

ومن خلال هذه الوسائل يتبين تنوعها بين وسائل لغوية ووسائل نفسية ووسائل دينية ووسائل منطقية وأخرى عاطفية، وعلامات لغوية وعلامات غير لغوية، ويلاحظ إجمالا تدرج هذه الوسائل من الأقوى إلى الأضعف، أو من الإنكاري إلى التعليلي إلى التعاطفي؛ فيمتلك النص في البداية وسائل إنكارية من خلال الاستفهام والعلامات الأخرى غير اللغوية المرتبطة بالحال، ثم يقدم تعليلات إقناعية توضح سبب تقسيم الغنائم على الناس دون الأنصار، ثم يقدم وسائل تضامنية وتعاطفية كثيرة بالثناء على الأنصار والدعاء لهم، على هذا النحو:

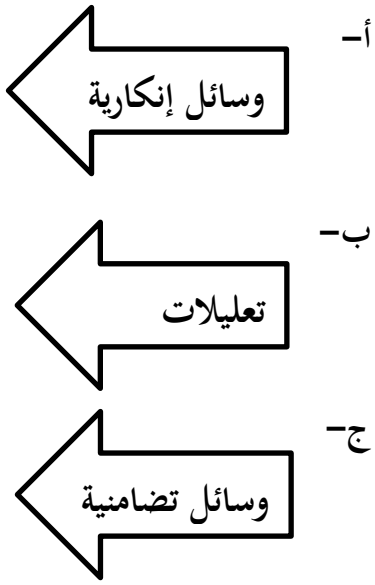

وبالنظر لهذا الترتيب وَفقا للأشكال السابقة يتضح دقة التدرج الإقناعي الذي يتناسب مع الموقف؛ فالبدء بالاستنكار؛ لأن الأنصار مستنكرون لفعل النبي ﷺ في تقسيم الغنائم، وجمعهم في مكان واحد وخطبة النبي فيهم كانت لأجل ذلك، فقابل الإنكار بإنكار، ثم جاء بتعليلات لما قام به لإقناعهم بنزاهة الفعل عن الانحياز أو العشوائية، ثم كانت الوسائل التضامنية لإظهار الحب وقوة العاطفة تجاه الأنصار، وإعادة الثقة النفسية إليهم، وهذا الترتيب لا يمكن تصور عكسه؛ إذ إنه هكذا يدل على قوة حجة النبي ﷺ وثبات موقفه، ولو جاء بصورة عكسية أي بدءا بالوسائل التضامنية ثم الإقناعية ثم الإنكارية لم يكن صحيحا من الناحية الحجاجية، ولا يكون مناسبا للمقام.

وفي ختام هذا المبحث يتأكد أن الخطاب الحجاجي في الحوار النبوي مع الأنصار كان خطابا إقناعيا ناجحا، حقق أهدافه وغاياته، واستخدم في سبيل ذلك مجموعة من الاستمالات الإقناعية، منها ما هو عاطفي ومنها ما هو عقلي عن طريق إستراتيجيات خِطابية متنوعة، أسهمت في وضع النص موضعا حجاجيا عاليا، ينم عن وعي تام بآليات الحجاج، وقدرة فائقة على اغتنام وسائله وتوظيفها في مواجهة المشكلات وحسم الخلافات.

المبحث الرابع: وسائل الإقناع في شعر "حسان بن ثابت الأنصاري" في عتاب النبي ﷺ

أثارت مسألة توزيع رسول الله ﷺ الغنائم على المهاجرين والمؤلفة قلوبهم دون الأنصار تعجب "حسان بن ثابت" واستنكاره، وحرك ذلك في نفسه روح الإبداع الذي عبر من خلاله عن انتمائه وولائه لقومه، فقال ﷺ معاتبا الرسول ﷺ:(١)

زَادَتْ هُمُومٌ فَمَاءُ الْعَيْنِ سَحَّا إِذَا حَفَّلَتْهُ عَبْرَةٌ دَرِرُ(٢)
وَجْدًا بِشَعْثَاءَ إِذْ شَعْثَاءُ هَيْفَاءُ لَا دَنَسٌ فِيهَا وَلَا
دَعْ عَنكَ شَعْثَاءَ إِذْ كَانَتْ نَزْراً وَشَرُّ وِصَالِ الوَاصِلِ
وَأْتِ الرّسُولَ فَقُلْ يَا خَيْرَ لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا عُدِّلَ الْبَشَرُ
عَلَامَ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهْيَ أَمَامَ قَوْمٍ هُمْ آوَوْا وَهُمْ
سَمَّاهُمْ اللَّهُ أَنْصَارًا لِنَصْرِهِمُ دِينَ الْهُدَى وَعَوَانُ الْحَرْبِ

(١) ديوان حسان بن ثابت: ١٢٠، والأبيات أيضا في السيرة النبوية لابن هشام: ٤٩٧/٢، ٤٩٨، تحقيق/ مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الثانية ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م، مع بعض الاختلاف في الرواية، وزيادة بيت بعد البيت الثامن وهو:
نُجَالِدُ النَّاسَ لَا نُبْقِي عَلَى أَحَدٍ.. وَلَا نُضَيِّعُ مَا تُوحِي بِهِ السُّوَرُ

(٢) حفَّلتْه: جمّعته، يقال: حَفَلَ اللَّبنُ فِي الضَّرْع يَحْفِلُ حَفْلًا وحُفُولًا وتَحَفَّلَ واحْتَفَلَ: اجْتَمَعَ؛ وحَفَلَه هُوَ وحَفَّلَه. وضَرْع حَافِل أَي مُمْتَلِئٌ لَبَنًا. لسان العرب (حفل).

(٣) شَعْثاءُ: اسْمُ امرأَة، وفي الديوان أنها زوجة حسان، وامرأَة بَهْكنةٌ وبُهاكِنة: نَارَّةٌ غضَّة وَهِيَ ذَاتُ شَبابٍ بَهْكَنٍ أَي غَضٍّ، قال ابْنُ الأَعرابي: البَهْكَنةُ الجاريةُ الخفيفةُ الرُّوحِ الطيِّبة الرائحةِ المليحةُ الحلوة. لسان العرب (بهكن).

(٤) النَّزْر والنَّزِير: الْقَلِيلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. لسان العرب (نزر).

وَجَاهَـــــدُوا فِي سَـــــبِيلِ اللهِ لِلنَّائِبَــاتِ فَمَــا خَــامُوْا وَمَــا
وَالنَّــاسُ أَلْــبٌ عَلَيْنَــا ثُمَّ لَــيْسَ إِلَّا السُّــيُوفَ وَأَطْــرَافَ الْقَنَــا
وَلَا يَهُــرُّ جَنَــابَ الْحَــرْبِ وَنَحْــنُ حِــينَ تَلَظَّــى نَارُهَــا سُــعُرُ
وَكَــمْ رَدَدْنَــا بِبَــدْرٍ دُونَ مَــا أَهْــلَ النِّفَــاقِ وَفِينَــا أُنْــزِلَ الظَّفَــرُ
وَنَحْــنُ جُنْــدُكَ يَــوْمَ النَّعْــفِ مِــنْ إِذْ حَزَّبَــتْ بَطَــرًا أَشْــيَاعَهَا
فَمَــا وَنَيْنَــا وَمَــا خِمْنَــا وَمَــا مِنَّــا عِثَــارًا وَجُــلُّ القَــوْمِ قَــدْ

فيبدأ الشاعر بمقدمة تقليدية يعلن فيها حزنه ووجده ولوعته من صاحبته التي وصفها بأنها بَهْكَنةٌ هَيْفَاءُ لَا دَنَسٌ فِيهَا وَلَا خَوَرُ، أي أنها جديرة بهذا الوجد حريّة بهذا التعلق، ثم يأمر نفسه على سبيل التجريد بأن يدعها وأن يتركها بقوله: (دع عنك شعثاء) معللا ذلك بأنها ذات صدود ونأي، وأن مودتها قليلة شحيحة لا تبل ريقا، ولا تروي غلة.

وهذا الانتقال بفعل الأمر (دع) أو بما يشبهه من الغرض التمهيدي إلى الغرض الأساس عادة فنية موروثة، اعتادها الشعراء قديما وحديثا، كقول "زهير بن أبي سُلمى":(٤)

دَعْ ذا، وعَــــدِّ الــقــــــولَ في خَــيرِ البُــداةِ وسَــيّدِ الحَضْــرِ

(١) الفراء وابن الأَعرابي: الإِخامَةُ أَن يصيب الإِنسانَ أَو الدابةَ عَنَتٌ فِي رِجْله، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمَكّنَ قَدَمَهُ مِنَ الأَرض فيُبْقِي عَلَيْهَا؛ يُقَالُ: إِنه ليُخِيم إِحدى رِجْليه. لسان العرب (خوم).

(٢) الأَلْبُ: الْجَمْعُ الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ. لسان العرب (ألب).

(٣) النَّعْفُ مِنَ الأَرض: الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ فِي اعْتِرَاضٍ، أو هو مَا انْحَدَرَ مِنْ حُزونة الْجَبَلِ وَارْتَفَعَ عَنْ مُنْحَدَر الْوَادِي فَمَا بَيْنَهُمَا نَعْف وسَرْوٌ وخَيْفٌ، وَالْجَمْعُ نِعَافٌ. لسان العرب (نعف).

(٤) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب: ٨٨، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٣هـ- ١٩٤٤م.

وقول "النابغة الذبياني":[١]

فعَدِّ عما ترى إذ لا ارتجاع له وانمِ القُتُودَ على عَيْرانة أُجُدِ

وقول "أسامة بن منقذ":[٢]

دع ذا ففيه عن لومنا صمم وهْو بِنَا- مَا عِلمتَه- عُقَقُ

وهو انتقال تقليدي نمطي ليس فيه بديع صنعة، بل هو سائر فيه خلف غيره من الشعراء، ولكنه متعمد مقصود في هذا المقام، يوحي بما يريده الشاعر، "والنموذج الأمثل للإيحاء الحر هو النص الشعري الذي لا يمكن تحديد مستواه الإيحائي بشكل تام، لأن هذا النوع من النصوص يتضمن ثقوبا منطقية يقوم كل قارئ بملئها طبقا لخياله وتجربته وثقافته ومعرفته بشخصية الشاعر وإنتاجه"[٣]، ففي البيتين اللذين سبقاه إخبار بتغير مزاج حسان وتكدر صفاء نفسه؛ لأن صاحبته لا تواده ولا تصله إلا نزرا، وكأنما يتخذ من هذا الاستهلال المقصود مدخلا لغرضه الرئيس في هذه القصيدة، وهو العتاب وإعلان عدم ارتياحه لصنيع النبي ﷺ في الغنيمة، وكذلك كانت مقدمة القصيدة دائما تمهيدا ضروريا، ومدخلا لا بد منه، كما ذكر ابن قتيبة في قوله المشهور: "وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أنّ مقصّد القصيد إنّما ابتدأ فيها بذكر الديار والدّمن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الرّبع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها، إذ كان نازلة العمد في الحلول والظّعن على خلاف ما عليه نازلة المدر، لانتقالهم عن ماء إلى ماء،

---

(١) ديوان النابغة الذبياني: ١٠، تحقيق/ عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

(٢) ديوان أسامة بن منقذ: ١٣٨، تحقيق د/ أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، عالم الكتب، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

(٣) بلاغة الخطاب وعلم النص، دكتور صلاح فضل: ١٣٦، عالم المعرفة- الكويت ١٩٩٢م.

وانتجاعهم الكلأ، وتتبّعهم مساقط الغيث حيث كان، ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدّة الوجد وألم الفراق، وفرط الصبابة والشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه، لأنّ التشبيب قريب من النفوس، لائط بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبّة الغزل، وإلف النساء، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلّقا منه بسبب، وضاربا فيه بسهم، حلال أو حرام، فإذا علم أنّه قد استوثق من الإصغاء إليه، والاستماع له، عقّب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا النّصب والسّهر، وسرى الليل وحرّ الهجير، وإنضاء الراحلة والبعير، فإذا علم أنّه قد أوجب على صاحبه حقّ الرجاء، وذمامة التأميل، وقرّر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح، فبعثه على المكافأة، وهزّه للسّماح، وفضّله على الأشباه، وصغّر في قدره الجزيل، فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب، وعدل بين هذه الأقسام، فلم يجعل واحدا منها أغلب على الشعر، ولم يطل فيُملّ السامعين، ولم يقطع وبالنفوس ظمأ إلى المزيد"(١)، ويقول ابن رشيق القيرواني: "ومن الشعراء من لا يجعل لكلامه بسطاً من النسيب، بل يهجم على ما يريده مكافحة، ويتناوله مصافحة، وذلك عندهم هو: الوثب، والبتر، والقطع، والكسع، والاقتضاب، كل ذلك يقال، والقصيدة إذا كانت على تلك الحال بتراء كالخطبة البتراء والقطعاء، وهي التي لا يبتدئ فيها بحمد الله عز وجل على عادتهم في الخطب"(٢).

ومقدمة هذا النص الشعري سريعة خاطفة لم تستغرق أكثر من بيتين، وفي الثالث يخاطب الشاعر نفسه ويأمرها بمجاوزة الحديث عن "شعثاء" تلك

(١) الشعر والشعراء، ابن قتيبة: ١/٧٥، ٧٦، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣هـ.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ١/٢٣١، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

المرأة التي يقال إنها زوجة "حسان" ﷺ، أو امرأة من "أسلم"(١)، إلى الغرض الرئيس.

والإيمان بأهمية هذا المطلع فيه دلالة على أهمية هذا الغرض، والإيجاز فيه دليل آخر على أهميته وجلالة الموقف، وقد اتخذه الشاعر وسيلة من وسائل الحجاج، حيث استغل هذا العنصر التراثي الذي تعارف عليه الشعراء استغلالا حذِرا مناسبا للمقام، فلم يهجم على غرضه مكافحة، ولم يسرف في التقديم به بين يدي رسول الله ﷺ، ولم يفوت فرصة استغلاله في الاحتجاج والإشارة والتلميح إلى عدم رضاه، وهو ما يعني استخدام الإستراتيجية التلميحية غير المباشرة في هذا الخطاب؛ فهي تعني التلميح بالقصد عبر مفهوم الخطاب المناسب للسياق، لينتج عنه دلالة يستلزمها الخطاب، ويفهمها المرسل إليه(٢).

ويُلحظ في هذا الخطاب الشعري اللجوءُ إلى ذكر محاسن الأنصار عن طريق استخدام الأسلوب الخبري، وسرد فضائلهم بالإكثار من الفعل الماضي خاصة، كأنما هذه المحاسن صارت حقائق ثابتة وتاريخا مجيدا لقومه لا يقبل النقض أو الشك، فالأفعال الماضية ابتداء من البيت الخامس تزيد عن عشرة أفعال: (آوَوْا- نصروا- سمهاهم- جاهدوا- اعترفوا- خاموا- ضجروا- رددنا- طلبوا- أنزل- حزبت) فهي حكاية حال، وسرد لجانب من جوانب البطولة عند الأنصار، فالشاعر لم يَعْدُ أن ذكر صفاتِ الأنصار وأظهر مواقفهم البطولية، ولم يطلب شيئا من النبي ﷺ، بل ظل ملتزما باجتناب صيغ الطلب كالاستفهام والأمر أو النهي وكأنه يحترز عن هذه الصور المشعرة بالاستعلاء تأدبًا مع المخاطب/ النبي ﷺ؛ حيث يقتضي المقام ذلك التأدب، بل يفرضه فرضا، ولم يستخدم سوى أداة واحدة من أدوات الاستفهام وهي: علامَ، وهو

(١) ينظر: ديوان حسان بن ثابت: ١٢٠حاشية رقم (٢).

(٢) ينظر: إستراتيجيات الخطاب: ٣٦٧.

استفهام ليس موجها للنبي مباشرة، بل جاء في صورة رسالة منه ينقلها المخاطب إلى النبي ﷺ حيث قال: "وأت الرسول فقل يا خير مؤتمن ... علامَ تدعى.."، ومبدأ التأدب في الخطاب هو أحد المبادئ المهمة، دعت إليه "روبين لاكوف" في مقالها: "منطق التأدب" وصيغته: كن مؤدبا، ويقضي هذا المبدأ بأن يلتزم المتكلم والمخاطب، في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام، من ضوابط التهذيب ما لا يقل عما يلتزمان به من ضوابط التبليغ(١).

ومما يدعم هذا المبدأ استخدام الشاعر أسلوب المدح في قوله:

وَأْتِ الرّسُولَ فَقُلْ يَا خَيْرَ لِلْمُؤْمِنِينَ إذَا مَا عُدِّلَ الْبَشَرُ

وهو مدخل آخر ذو أهمية كبيرة في الحفاظ على العلاقة بين طرفي الخطاب، انطلاقا من أن القيم الدلالية للخطاب هي مدخل ممكِّن ومهم لتحديد شبكة العلاقات الاجتماعية؛ لأن التعامل مع اللغة هو تعامل مع مضامينها(٢).

وبناء على ما سبق يمكن القول بأن الوسائل الإقناعية في أبيات "حسان" اعتمدت على:

- مقدمة تلميحية تشير إلى موقف "حسان" وانحيازه إلى قومه.
- دعوى بأفضلية الأنصار على سليم، ومن ثم على غيرها من القبائل العربية.
- تبرير الدعوى ببيان سبب تسمية الأنصار بذلك، وأن الله هو الذي سماهم بذلك.
- تدعيم الخطاب بسرد أفعال الأنصار مع النبي ﷺ وذكر جانب مما قدموه من بطولات.

ويمكن أن يوضح الشكل الآتي هذه الوسائل الخطابية:

---

(١) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٤٠.

(٢) ينظر: إستراتيجيات الخطاب: ٨٨.

مقدمة ـــــــ دعوى ـــــــ تبرير ـــــــ تدعيم

وهذا هو الشكل الحجاجي الأكثر شيوعا في الخطاب العربي، وقد وصفه د. محمد العبد بقوله: "وهو شكل يتسم بالمنطقية التي تعد أسَّ الحركة الحجاجية المتنامية مترابطة العناصر، ترتبط الدعوى منطقيا بالمقدمات، ويحرص الكاتب لجعل خطابه مقنعا ومستميلا على التبرير والتعليل، ويستخدم دعامات لا يخفى ثراؤها"(١).

ويظهر منه أن سيدنا "حسان بن ثابت" ﷺ كان حريصا كل الحرص على الوصول بخطابه الحجاجي إلى مرحلة الإقناع متبعا طريقة تراتبية أو ما يسمى في النظرية التداولية بالسُّلم الحِجاجي، ويعرف بأنه: "مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية ومستوفية للشرطين التاليين:

- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى.
- كل قول في السلم كان دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى(٢).

وبتتبع هذه التراتبية السلمية في القصيدة يلحظ أنها تسير في هذا الخط التصاعدي من الأدنى إلى الأعلى:

↑د **الأنصار جاهدوا في بدر وفي أحد، وأبلَوْا فيهما بلاء حسنا.**

↑ج **الأنصار جاهدوا في سبيل الله.**

↑ب **سماهم الله أنصارا.**

↑ أ **الأنصار أفضل من سليم.**

---

(١) النص الحِجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، د. محمد العبد، مجلة فصول: ٥١.

(٢) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن: ٩٧، المركز الثقافي العربي– الدار البيضاء، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م.

(أ) الأنصار أفضل من سليم.

(ب) سماهم الله أنصارا.

(ج) الأنصار جاهدوا في سبيل الله.

(د) الأنصار جاهدوا في بدر وفي أحد، وأبلَوْا فيهما بلاء حسنا.

فالقول الأخير (الأنصار جاهدوا في بدر وفي أحد، وأبلوا فيهما بلاء حسنا) وَفقا لقواعد السلم الحجاجي يلزم منه كل ما سبقه/ تحته من أقوال أو حجج، فيلزم من وجود (د) وجودُ (أ و ب و ج)، وهذا القول نفسه (د) وفقا للقاعدة الثانية يعد أقوى من الأدلة التي تحته (أ و ب و ج) في الدلالة على مكانة الأنصار وبيان فضلهم، وفي سبيل ذلك اتسم الخطاب الحجاجي بالتسلسل المنطقي والترابط وهدوء العرض، ومراعاة اختلاف الرتبة وأن الخطاب يتوجه من الأدنى إلى الأعلى، واستخدام كثير من وسائل التلطيف والتأدب، مع بقاء خصائصه الجدلية المتمثلة في حسن العرض وقوة الحجة وتعدد البراهين، ووضوح الهدف من الخطاب.

خاتمة

الحمد لله الرحيم الرحمن، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على النبي العدنان، الذي أوتي جوامعَ الكلم وحسنَ البيان، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

وبعد..

فقد عُنيت هذه الدراسة بالبحث عن مظاهر الحجاج، والتنقيب عن سمات الخطاب التواصلي في حوار النبي ﷺ مع الأنصار، وما يتمتع به من ميزاتٍ لغويةٍ ووسائلَ إقناعيةٍ وإستراتيجيات خِطابية متعددة دقيقة مناسبة للمقام ومراعية لأحوال المخاطبين، وما يجعله خليقا بالدرس التداولي؛ الذي يبحث في هذه الممارسات اللغوية والإبداعية التي تجعل من اللغة كائنا حيا متفاعلا مع المواقف المختلفة، قادرا على الإفصاح عن حاجات المتكلمين بها، معبرا عن آرائهم وأفكارهم وعقائدهم للتأثير في نفوس المخاطبين وإقناعهم بها، أو تثبيت ما كان مَثار شك لديهم، فكل هذا وإن كانت تتمتع به نصوص كثيرة، إلا أنه يتجلى بصورة واضحة في النصوص الحوارية بين النبي ﷺ وصحابته الكرام، ومن ثم فقد ركزت الدراسة تركيزا شديدا على هذه الوسائل والإستراتيجيات التداولية التي ارتقت بالنص محل الدراسة ووضعته في منزلة بيانية عالية، فكشفت عما انطوى عليه من آليّات حجاجية ووسائلَ إقناعية.

وقد أفضت هذه الدراسة إلى عدد من النتائج التي تتمثل فيما يأتي:

- أزاحت هذه الدراسة عن مصطلح الحجاج في ضوء تعريف التداولية له ما أُلصق به من ظلال غير مرغوبة ، كالخلاف وحب الغلبة والظهور والاستعلاء والجدال لأجل إفحام الخصم وقطع حجته وما يتصل بذلك، عن طريق تلمس القواعد والإستراتيجيات الحجاجية في كلام النبي ﷺ وصحابته الأبرار، مما أسفر عن احتشاد هذا النص الحواري بالأدب الجم مع جمال البيان، وبالأخلاق مع قوة الحجة، إذ قام الحوار بينهما على هدف محدد لدى كل طرف؛ وهو معرفة وجه الحق، وجلاء ما ران في

القلوب من موجدة وحزن.

- كشفت هذه الدراسة التداولية للنص النبوي في حواره ﷺ مع الأنصار عن دقة اختيار المفردات اللغوية وتوظيفها التوظيفَ المناسبَ الذي يجعلها في مكانها ذات طاقة حجاجية مؤثرة في إنتاج المعنى وقادرة على الإقناع، وذلك على المستوى الصوتي والصرفي والتركيبي والدلالي.
- أظهرت الدراسة دلالة الأفعال الإنجازية الإنشائية كالاستفهام والنداء والقسم والأمر على تلوُّن النص الحواري بألوان مختلفة واصطباغه بانفعالات متفاوتة تدور مع المقام والحجة من الكلام، كما دلت على تعدد المقامات وتنوع المعاني، وكانت أكثر انفعالا وتوكيدا للكلام من الجمل الخبرية لعدم خضوعها لمقياس الصدق والكذب، فناسبت الموقف العام الذي كان المخاطَبُ فيه منكرا ورافضا، ولذلك كثرت في كلام النبي ﷺ.
- أظهرت هذه الدراسة أهمية استخدام الوسائل البلاغية كالتشبيه والاستعارة والكناية في الخطاب الحجاجي، وأظهرت قدرتها التعبيرية عن المعنى من غيرها من الأساليب في مقامات الاختلاف، حيث استخدمها الأنصار قبل لقائهم بالنبي ﷺ في التعبير عن رفضهم وتعجبهم من تقسيم غنائم حنين، وأثناء لقائهم به في التبرير وتفسير موقف الرافضين، واستخدمها النبي ﷺ في مدحهم والثناء عليهم وبيان فضلهم على من سواهم.
- كشفت هذه الدراسة عن وجود الإستراتيجية التضامنية التي كانت إحدى الوسائل الدالة على تضامن النبي ﷺ مع الأنصار، وفهم طبيعة موقفهم الذي لم يكن مغاليا أو مجانبا للحق، فكانت وسيلة من وسائل احتواء الموقف والسيطرة على غضب المخاطب عن طريق دعم موقفه وتصويب رأيه، وليس التسفيه منه أو تخطئته.
- أبانت الدراسة كذلك عن استخدام النبي ﷺ للإستراتيجية التوجيهية التي تقوم بوظيفة يسميها النقد التداولي بالوظيفة الإيعازية أو الندائية، فكشفت عن سلطة النبي ﷺ في توجيه الأنصار بطلب الفعل بصورة مباشرة، حيث

يستدعي الأسلوب في هذه الإستراتيجية الكلام العقلي أكثر من الكلام العاطفي، فكانت أكثر ملاءمة لمقام الحزم والجد الذي جلل هذا الموقف الحواري.

- أوضحت الدراسة كذلك ثراء النص النبوي باستخدام الإستراتيجية الإقناعية التي تعتمد على وسائلَ لغويةٍ ووسائل نفسية ووسائل دينية ووسائل منطقية وأخرى عاطفية، وعلامات لغوية وعلامات غير لغوية؛ تجتمع في إبراز العلاقة المنطقية بين أجزاء النص الحجاجي، وتدل على التفاعل بين طرفي الحوار.
- اتضح من خلال دراسة شعر "حسان بن ثابت الأنصاري" ﷺ في عتاب النبي ﷺ حذرُه الشديد في التعبير عن موقفه ومعاتبته، من خلال الإشارة والتلميح واستخدام الأسلوب السردي الخبري، وكثرة حضور الفعل الماضي الذي جعل اللغة لطيفةً ودودا، والثناء على النبي ﷺ إعمالا لمبدأ التأدب الذي يعد من المبادئ الأساسية في التداولية، التي تضمن الحفاظ على شبكة العلاقات الاجتماعية في الخطاب الحجاجي.

توصيات:

- توصي الدراسة بضرورة الانفتاح على النظريات الغربية الحديثة، وأخذ ما يلائم النصوص العربية والتراث الإسلامي بما يعمل على تجليته واستخراج درره المصدوفة، وبما يضمن سلامته من التشويه والتقزيم والعبث؛ إذ يعد هذا الانفتاح المعرفي واجبا دينيا وعلميا لما فيه من نظريات جديدة قادرة على خدمة اللغة والدين والتراث.
- توصي الدراسة بضرورة التوسع في دراسة النظرية التداولية وآليات الحجاج وتطبيقها على كثير من النصوص الأدبية والتراثية وخاصة منها النبوية، للاستفادة مما تزخر به هذه النصوص من وسائل الإقناع والتأثير وأدوات الاتصال والتفاهم مع الآخر، وإظهار الصورة المشرقة للتراث العربي والإسلامي.

(وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم)

فهرس المصادر والمراجع

- الأساليب الإنشائية الطلبية ودلالاتها النحوية والبلاغية في غزل شواعر الأندلس، أيمن مصطفى طه وآخرون، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، المجلد ٢٠ (١) ٢٠١٩م.
- أساليب بلاغية: الفصاحة- البلاغة- المعاني، أحمد مطلوب الرفاعي، وكالة المطبوعات-الكويت، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.
- الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، د. إدريس مقبول، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد الثامن، العدد (٢/١٥).
- إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
- أسلوبية الخطاب التداولي والحجاجي: تنظير وتطبيق على السور المكية، د. مثنى كاظم صادق، منشورات ضفاف- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.
- آليات الحجاج في المناظرات النحوية، وهيبة مسعد، ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي- الجزائر ٢٠١٤-٢٠١٥م.
- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، تحقيق/ د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
- البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق/ علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م.
- البديع في علم العربية لابن الأثير: ٤٧٢/٢، تحقيق د/ فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة- الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- بلاغة الخطاب وعلم النص، دكتور صلاح فضل، عالم المعرفة- الكويت ١٩٩٢م.
- البلاغة فنونها وأفنانها: علم البيان والبديع، د. فضل حسن عباس،

دار الفرقان- عمّان، الطبعة الحادية عشرة ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

- البلاغة: فنونها وأفنانها (علم المعاني)، د/ فضل حسن عباس، دار الفرقان- إربد، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
- البلاغة والاتصال، د. جميل عبد المجيد، دار غريب، القاهرة ٢٠٠٠م.
- البيان والتبيين للجاحظ، دار الهلال- بيروت ١٤٢٣هـ.
- تحليل الخطاب، ج.ب. براون، و ج. يول، ترجمة د. محمد لطفي الزليطني، ود. منير التريكي، النشر العلمي والمطابع- جامعة الملك سعود ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر- دمشق، الإصدار الأول ٢٠٠٨م.
- تذوق الأدب: طرقه ووسائله، د/ محمود ذهني، مكتبة الأنجلو المصرية (د. ت).
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد الهاشمي، تحقيق د/ يوسف الصميلي، المكتبة العصرية- بيروت.
- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية- بيروت (د.ت).
- الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.
- الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي- بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٧م.
- الخصائص لابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م.
- الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، د/ خلود العُموش، عالم الكتب الحديث- إربد- الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١١٩، تحقيق/ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
- دلائل النبوة للبيهقي، تحقيق د/ عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث- الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- ديوان أسامة بن منقذ، تحقيق د/ أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، عالم الكتب، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- ديوان البحتري، تحقيق/ حسن كامل الصيرفي، دار المعارف- مصر ١٩٦٤م.
- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق/ عبدأ علي مهنا، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
- ديوان عنترة، تحقيق/ كرم البستاني، دار صادر – بيروت (د. ت).
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق/ عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
- زهر الآداب وثمر الألباب للحصري القيرواني، تحقيق/ محمد زكي عبد السلام مبارك، دار الجيل- بيروت ١٩٢٥م.
- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق/ مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الثانية ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م.
- شرح أدب الكاتب لابن قتيبة، أبو منصور الجواليقي، تقديم/ مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت).
- شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش، تحقيق د/ إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب،

مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٣هـ- ١٩٤٤م.
- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ- ١٩٥٩م.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣هـ.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، للقلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٤٠هـ- ١٩٢٢م.
- صحيح البخاري، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت ١٣٧٤هـ- ١٩٥٤م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة- بيروت ١٣٧٩هـ.
- فن الإلقاء العربي الخطابي والتمثيلي، د / فاروق سعد، دار الكتاب، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م.
- في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، مكتبة دار التراث، طبعة دار التراث الأول ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.
- الكامل في التاريخ، أبو الحسن الشيباني، تحقيق/ عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية- بيروت - الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.
- كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق/علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية بيروت ١٤١٩هـ.
- الكتاب لسيبويه، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي،

القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق د/ عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة- بيروت ١٩٩٢م.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر- بيروت الطبعة الثالثة - ١٤١٤هـ.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- لغة الحديث النبوي وفق استراتيجيات الخطاب (كتاب اللؤلؤ والمرجان أنموذجا)، رضوان عبد الكريم الطاهر عمران، ماجستير- جامعة اليرموك ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية- بيروت ١٤٢٠هـ.
- المحكم لابن سيده: (ل ع ع)، تحقيق/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- المخصص لابن سيده، تحقيق/ خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- المستدرك على الصحيحين للحاكم، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- المصباح المنير للفيومي، المكتبة العلمية - بيروت (د. ت).
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار الفكر- بيروت (د. ت).
- معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، د. أحمد مختار عمر وآخرون، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
- المعجم الكبير للطبراني، تحقيق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة

ابن تيمية– القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ– ١٩٨٣م.

- المعجم الوسيط: مادة (حور)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة – الطبعة الثالثة.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، أخرجه إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة.
- المنهاج في ترتيب الحجاج، أبو الوليد الباجي، تحقيق/ عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.
- النص الحجاجي العربي: دراسة في وسائل الإقناع، محمد العبد، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٠، صيف– خريف ٢٠٠٢م.
- نظرية أفعال الكلام عند أوستين، نصيرة غماري، مجلة اللغة والأدب– جامعة الجزائر ٢، العدد ١٧.

الرسائل العلمية:

- البنية الحجاجية في شعر عز الدين ميهوبي، فوزية زيار، رسالة دكتوراه، جامعة وهران– الجزائر ٢٠١٨–٢٠١٩م.
- بنية الخطاب الحجاجي في كليلة ودمنة، حمدي منصور جودي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات جامعة محمد خيضر– الجزائر ١٤٣٧هـ– ٢٠١٧م.
- تجليات الحجاج في القرآن الكريم (سورة يوسف أنموذجا)، حياة دحمان، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر– الجزائر ١٤٣٤– ٢٠١٣م.
- تداولية أدب الخطاب وإستراتيجياته في سورة غافر، هاجر أحمد المومني، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك ٢٠١٤– ٢٠١٥م.
- الخطاب الحجاجي بين الإمام علي ومعاوية، محمد موسى زيدان الوديان، رسالة دكتوراه– جامعة اليرموك ٢٠١٩م.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــوع	الصفحة
١	المخلص العربي.	٣
٢	المخلص الإنجليزي.	٤
٣	**مقدمـــة.**	٥
٤	**تمهيد:** الحادثة الحوارية عقب غزوة حنين.	٩
٥	**المبحث الأول:** مصطلحات ومفاهيم:	١٤
٦	- مفهوم الخطاب.	١٤
٧	- مفهوم الحجاج.	١٧
٨	- مفهوم الحوار وعلاقته بالحجاج.	٢٢
٩	**المبحث الثاني:** وسائل الحجاج فِيْ حِوَارِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الْأَنْصَارِ عَقِبَ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ:	٢٥
١٠	- الوسائل اللغوية ودورها الحجاجي:	٢٥
١١	أولا: المفردات اللغوية ووظيفتها الحجاجية.	٢٥
١٢	ثانيا: الأفعال الإنجازية للأساليب الإنشائية:	٣٤
١٣	- الوسائل البلاغية ودورها الحجاجي.	٤٧
١٤	**المبحث الثالث:** إستراتيجيات الخطاب في حوار النبي مع الأنصار:	٥٦
١٥	أولا: الإستراتيجية التضامنية.	٥٦
١٦	ثانيا: الإستراتيجية التوجيهية.	٦٠
١٧	ثالثا: الإستراتيجية الإقناعية.	٦٤
١٨	**المبحث الرابع:** وسائل الإقناع في شعر "حسان بن ثابت الأنصاري" في عتاب النبي ﷺ.	٦٩
١٩	**خاتمـــة.**	٧٧
٢٠	فهرس المصادر والمراجع.	٨٠
٢١	فهرس الموضوعات.	٨٦